

الدرر المظلة

في فتوح مكة المشرفة

للشيخ الإمام العالم
بالحسن البكري

رحمه الله تعالى

المكتبة الثقافية
بيروت



0125211

Bibliotheca Alexandrina

29

الْبَزْرُ وَالْمِطْلَةُ
في فتوح مكتبة المشرفة

الذِّرُّورُ الْعَقْلِيَّةُ
فِي فَتَوَحِ مَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ



رقم التصنيف : _____
رقم التسجيل : _____

المكتبة الشقافية
بيروت

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة الثقافية
الطبعة الاولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون. وبعد: فيقول الإمام العلامة أوحى الفضلاء المحدثين أبو الحسن البكري رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

إنه لما ذكر وشاع خبر الرسول في سائر البقاع والاقطار، فشاع أمره في سائر البلدان، وارتفعت كلمته وهابته الملوك والفرسان، والأبطال والشجعان والاقربان، وخافت من سطوته، وغزا الغزوات بقوة عزمه وهمته، واذعنت إليه، الملوك الاكاسرة، وذلت لسطوته الفراعنة والجبابرة والقياسرة، وأتت إليه جميع القبائل والفرسان، وأقرت بنبوته الكهان والرهبان، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وجاءت لدعوته الأشجار، وسلمت عليه الوحوش والاطيار، وظهرت بركته في الطعام القليل، وفاض الماء من بين أصابعه وانفجر، وكانت تحرسه

الملائكة إذا اقبل أو ادبر، وشاعت معجزاته برأً وبحراً، وبانت
براهينه غرباً وشرقاً، وحفظه الله تعالى بالملائكة الكرام، وظلله
الله بالغمام، وأيده بنصره وأطلعه مكنون سره، وأعطاه النصر
والفتوح، وأسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد
الأقصى إلى سدره المنتهى إلى أن التقى بالأنبياء وفيهم نوح، ثم
دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، فخلع عليه خلعة
الإكرام وأعطاه ما لم يعط أحداً من الأنبياء والرسل الكرام،
وخصه بالشفاعة في العصاة والمذنبين يوم يقوم الناس لرب
العالمين، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأعطاه اللواء
والخوض والكوثر، وفضله على سائر الخلق والبشر، وأرسله إلى
كافة الناس بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

قال الراوي: فلما عاين أهل مكة ذلك منه اجتمعوا في دار
الندوة، وكانت معدودة للمشورة بينهم في سائر الأمور من خير
أو شر، وتذكروا في أمر محمد ﷺ بينهم، وما نالهم من قبل
معادلتهم وفرسانهم مثل يوم بدر وواقعة أحد وحنين، وقد
عطل أديانهم وخذلهم، وأظهر بهتانهم، ونكس أصنامهم،
فصاروا يترددون إلى دار الندوة يتشاورون في أمره إلى رأس
ثلاثة أيام وهم لا يتهنون بطعام ولا بشراب، واتفق رأيهم أن

يرسلوا إلى النبي ﷺ أبا سفيان، وصخر بن حرب، وسهل بن عمرو، وضرار بن الخطاب، وصفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل. وكتبوا كتاباً وذكروا في أوله باسمك اللهم.

وجاء في الكتاب:

أما بعد، يا محمد، هذا كتاب من أهل مكة وسادات قريش وبني هاشم وبني عبد مناف وغيرهم من سائر القبائل والعربان، بأن اتفق رأيهم ومشورتهم على أنك تعاهدنا ونعاهدك أن لا تغزونا ولا نغزوك، ولا تؤذينا ولا تؤذيك، ولا نحاربك، وتكون هذه المعاهدة مدة سنتين وثمانية أشهر لا يصير فيها بيننا وبينك قتال، ولا يقال فيها رمح ولا يسل فيها سيف، ولا يؤخذ فيها مال ولا بنون. ثم كتبوا في آخر الكتاب:

هذا كتاب كتبناه بأيدينا فاشبه حقيقا باننا لا يخالفه أن لا تحاربنا في يوم معركة ولا تكون علينا أنت تعرفه وإن أتى لك منا من يخالفنا عن دين ابائنا حقاً تشيعه ونحن، إن جاءنا من قومكم أحد نرده عاجلاً حقاً وننصفه ونتقي الشر والقتال كذا ما كنت تكتب حقاً لا غيره

عامين تمضي بلا حرب ولا غلب كذا ثمان شهور أنت تعرفه
إن كنت تعرف هذا فاكتب لنا صحيفة مثل هذا لا نخالفه
فلما فرغوا من ذلك، أخذ الكتاب أبو سفيان وختمه
بخاتمه، ثم نهض قائماً بين القبائل والسادات من قريش،
وقال: لا يمضي بهذا الكتاب إلى محمد إلا أنا ومن أريد معي من
عشيرتي وقومي. فأجابوه: السمع والطاعة وقالوا: أنت يا أبا
سفيان نعم الكفء لهذا الأمر، لأنك خير بأمر محمد
وأحواله.

ثم إن أبا سفيان أفرغ على نفسه لامة حربه، ولبس درعاً،
ووضع على رأسه بيضة عادية، وتعمم، واعتقل بسيفه،
وركب جواده، وودع زوجته، وسار إلى قومه وهم مجتمعون،
فلما رآوه في هذه الهيئة ودنا منهم قاموا إليه إجلالاً. وكان أمر
أصحابه الذين اختارهم لصحبته بعد أن ذهبوا إلى منازلهم أن
يأخذوا أهبتهم فلبسوا لامات حربهم وأتوا إليه مسرعين.

ثم ودعوا القوم وصاروا مجدين إلى مدينة رسول الله ﷺ،
إلى أن دخل المدينة وقصد محمداً ﷺ فأذن لهم في الدخول.
وكان الأمين جبريل عليه السلام أخبره بذلك وعرفه بما جاءوا

به وبما في الكتاب، ولكل ما ذكره في دار الندوة، وأمر أن يجيئهم فيما يطلبونه، وإن ذلك يكون سبباً لفتح مكة المشرفة. والله تعالى ناصرك عليهم وستكسر اللات والعزى والهبل الأعلى والله على كل شيء قدير.

قال الراوي: فلما دنوا من النبي ﷺ تقدم أبو سفيان ومعه وسلموا عليه سلام الجاهلية، وحيوه بما يحييه الله به، فقال لهم ﷺ: قد بذل الله لنا بسلام خير من سلامكم وتحية خير من تحيتكم هذه، قالوا: فما هو؟ قال: قولوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقالوا: يا محمد هذا شيء لا نعرفه، ولا نقول إلا ما وجدنا عليه أباءنا وعليه أهل مكة. فقال ﷺ: وأين الكتاب الذي جئتم به؟ وما الذي تشاورتم عليه أنتم وأهل مكة في دار الندوة؟ فقال أبو سفيان: ومن أعلمك بذلك يا محمد ولم يكن أحد من أهلك عندنا قط. فقال النبي ﷺ: أخبرني أخي جبريل عن رب العالمين. فقال له: صدقت يا محمد. ثم ناوله الكتاب فأخذه وسلمه إلى الإمام علي، كرم الله وجهه، فقرأه على النبي ﷺ وأصحابه يسمعون.

فلما فرغ من قراءته قال النبي ﷺ: اكتب لهم يا أبا الحسن

ردّ الجواب بحيث أن يكون في أوله بسم الله الرحمن الرحيم .
فقال أبو سفيان : لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال له
النبي ﷺ : ولم ذلك يا أبا الحرب ؟ فقال : يا محمد لو أقر أن ربك
الرحمن الرحيم لما خالفناك في شيء ولا عاديناك . قال : فماذا
نكتب يا ابن حرب ؟ فقال : اكتب باسمك اللهم . فقال النبي
ﷺ لعلي رضي الله تعالى عنه : يا أبا الحسن اكتب له ما يريد
ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

قال الراوي : فكتب الإمام علي ، رضي الله تعالى عنه ،
باسمك اللهم ذلك حتى بلغ الكتاب ويفعل الله ما يشاء وهو
الفعال لما يريد . وكتب الإمام علي إلى سادات قریش من أهل
مكة وبني عبد مناف وغيرهم من سائر القبائل والعربان ،
بشهادة من حضر من أبي جهل ، وضرار بن الخطاب ، وسهل
ابن عمرو ، ورعوس أهل مكة ، ومن حضر من المهاجرين
والأنصار وبني لؤي بن غالب أنا لا نغزوهم ولا يغزونا إلى ما
تضمنه الكتاب من الشروط التي تضمنها كتابهم . وقد أجبناهم
إلى ما سألوه وأن تكون المعاهدة إلى عامين وثمانية أشهر إلى أن
قال : والله يشهد بذلك وملائكته وحمة العرش أجمعين ، ومن
حضره من الأنصار والمهاجرين .

ثم قرأه الإمام علي رضي الله عنه على النبي ﷺ وأصحابه يسمعون ذلك. ثم أخذه ﷺ وختمه بخاتمه المبارك وطواه وناوله لأبي سفيان، فأخذه من يده الكريمة وقبله وودع النبي ﷺ وسافر هو ومن معه فرحين مسرورين، وظنوا أنهم بلغوا مطلوبهم ومرادهم والله غالب على أمرهم.

قال الراوي: فلما توجهوا من المدينة طالين مكة فأنشد أبو سفيان يقول:

كفينا حروباً قد تحدد أمرها فياليت شعري ما يكون من الأمر
فقلبي ونفسي والجوارح كلها لقد ملئت رعباً إلى آخر الفكر
وما بعد هذا الأمر إلا أشدائد وقتل وسيي العبد منافع الحر

قال الراوي: ثم إن أبا سفيان رفع رأسه إلى السماء فرأى الشمس وهي فيها جارية والرياح سائرة، والوحوش في البراري راتعة ورائحة وغادية، فتحرك بأمر الله عند ذلك قلبه وطار له وحضرت فكرته فنطقت عند ذلك مقالته، وأنشد يقول:

أيا رافع العلياء، يا باسط الثرى وخالق كل الخلق والشمس والبدر
وتجري البحار التي أجريت بأمره ومُرسي الجبال الصمّ والسهل والوعر

وخالق وحش البر والبحر كلهم ورازقهم فيه إلى منتهى العمر
فولاً علينا من يكون صلاحنا ومرشدنا للخير يا كاشف الضر
وتعلو به دنيا وأخرى على ضيا بحق منى والبيت والركن والحجر

قال الراوي: فوالله ما استتم أبو سفيان كلامه حتى هتف
هاتف يسمع كلامه ولا يرى شخصه على شعره يقول:

الذي نرجوه أرسل للورى جاءنا هداية للخلائق منذرا
وهو المفضل والمكرم والذي حاز الفضائل واللوا والكوثرا
هو احمد ومحمد خير الورى المصطفى المزمّل المدثررا
وهو المكرم والمعظم قدره وهو المبجل والسراج الانورا
الله فضله وأكرم خلقه وحباه من فضل ونصر مشهرا
فاتبع هدايته ولا تكن بمخالف تصل الجحيم ونارها تسعرا
واترك لدى الأصنام عنك وخلها واعبد إله الخلق ربك اكبرا
رب رحيم خصنا بمحمد خير البرية هاديا ومبشرا
من سبحت في كفه صم الحصى - والماء من بين الأصابع قد جرى

قال الراوي: فلما قرب منها أرسل رجلاً إلى أهل مكة
يعلمهم بخبرهم؛ ويشرهم أن محمداً قد أجبنا إلى سؤالنا،

وأنه لم يخالفنا في شيء، وقد كتب لنا رد الجواب بما به تشفى
قلوبنا.

قال الراوي: ثم إن أهل مكة لما بلغهم قدومهم خرجوا إلى
لقاء أبي سفيان وأصحابه. فلما نظرهم أبو سفيان ترجل إليهم
عن جواده، وكذلك أصحابه، وسلموا عليهم يمشونهم
بالسلامة، وساروا يمشون خلفهم وعن يمينهم وعن شمالكهم،
حتى وصلوا إلى الحرم الشريف، فجلست السادات حول
الكعبة المشرفة، وإذا بالطعام والشراب أتى إليهم، فأكلوا
وشربوا. ثم فتحوا الكتاب الذي جاء من عند رسول الله ﷺ
وقرءوه على السادات ورؤساء القبائل، وفرحوا بذلك فرحاً
شديداً وظنوا أنهم بعد ذلك بلغوا مرادهم ومقصودهم والله
تعالى غالب على أمرهم.

قال الراوي: ثم إن أبا سفيان وثب قائماً وأخذ كتاب النبي
صلى الله عليه وسلم واستأذن سادات مكة في قراءته عليهم،
وأن يعلقه في باب الكعبة ولا يقربه أحد بسوء، فأجابوه
بالسمع والطاعة واشتغلوا بالضيافات والإكرام والإنعام على
الخاص والعام. وأقام من أهل مكة سادات قريش وبنو عبد

مناف أو بنو عبد الدار في أطيب عيش وأرغده، وأكثروا من
الزرع حتى كثرت أشجارهم ونمت ثمارهم وكثرت مواشيهم
وأغنامهم، وهم في غفلة يعبدون الأصنام والأوثان من دون
الملك الديان، حتى ضجت منهم الملائكة الكرام، وضجت
الأرض ونادت الملائكة قائلين: إلهنا ومولانا إنا نرى هؤلاء القوم
والكفار وسوء فعلهم وهم جيران بيتك الحرام. ونادى كذلك
البيت: طَهَّرْ بيتك الحرام من الرجس والأصنام بنبيك محمد
عليه أفضل الصلاة والسلام، وهو خير الأنام وسيد الخاص
والعام إنك على كل شيء قدير.

ذكر فتوح مكة المشرفة شرف الله قدرها

قال الراوي: فلما أراد الله تطهير بيته الحرام من الأصنام
والأوثان، وكان ذلك بعد مضي سنة وثمانية أشهر وبقيت سنة
واحدة في المعاهدة، خرج رجل من حي بني بكر بن وائل
وقدم إلى حي بني خزاعة، فلقى رجل تاجر كان يتردد عليهم
مراراً يشتري منهم ويبيع عليهم يساعد ذلك الرجل على قضاء
حوائجه، فتقدم إليه وسلم عليه ورحب به وأومأ إليه بالمسير

معه إلى منزله كعادته. فأجابه إلى ذلك ومشى معه، فعثر البكري بحجر كان ملقى في الأرض بقدرة الله لا مانع لما قضى ولا معقب لما حكم. فقال البكري عند ذلك: تعثر فلان وهو النبي ﷺ. وجعل يسبه، فالتفت إليه الخزاعي وقال له: يا هذا أين ذهب عقلك حتى تسب سيد المرسلين محمد ﷺ من غير ذنب ولا جرم؟ إن هذا لشيء عجيب. إن لم تنته لأحرم منك البيع والشراء. فقال البكري: أو يعظم عليك هذا؟ فقال الخزاعي: والله، إنه لأمر عظيم وخطب جسيم.

قال الراوي: فلما نظر إليه البكري وقد تغيط العداوة قال له: لأزيدنك غيظاً. وصار يسب النبي ﷺ سباً فاحشاً. فامتلاً قلب الخزاعي غيظاً وأخذته الغيرة على النبي ﷺ فوثب قائماً ونظر يميناً وشمالاً فرأى عظم ركة جمل بجانب حانوته، فأخذها وأتى بها إلى البكري وصار يضربه حتى قضى عليه وعجل الله بروحه إلى النار وبش القرار.

قال الراوي: ثم حفر له حفرة وألقاه فيها، وأهال عليه التراب، وأخذ ما كان معه من التجارة وغيرها، وابتدر مسرعاً إلى أهله وعشيرته وأخبرهم بذلك، ففرحوا فرحاً شديداً، فلما

سمع بنو بكر بن وائل بقتل صاحبهم، عظم ذلك عليهم
فجمعوا جيوشهم وخرجوا مسرعين إلى قتال بني خزاعة
قاصدين ولسان حالهم يقول:

أتينا بجيش لا تطيق خزاعة ميد على طول الزمن للمعاشر
لقد قتلوا منا شجاعاً لبغيهم وقد خالفوا دين الكرام الاكابر
وصالوا عليه في الديار جميعهم وقد طال ما ابدى لهم بالبواتر
ستجلو ديار منهم بسيوفنا بقتل السادات والاكابر

قال الراوي: ولم تزل بنو بكر سائرين وبجيوشهم قاصدين
ولبي خزاعة طالين. فلما نظر بنو خزاعة إلى جيوشهم
وعساكرهم قال بعضهم لبعض: ليس لنا بهذه الجيوش والعساكر
طاقة. وكانوا جيوشاً عظيمة. ثم إنهم أخذوا أموالهم وساروا إلى
مكة مستجيرين بأهلها فنطق لسان الحال مترجماً بهذا المقال:

نسير إلى البيت الحرام بجمعنا ونحظى به من قبل أن ينفضي الأمر
ونسعى لبيت الله ثم نطوفه طواف قدوم الحطيم كذا الحجر
ومن بعده بمروة والصفاء ونروي بماء لا يضاهيه كوثر
ونسأل مولانا يحود بفضلته على كسرنا بالجوود منه ويجبر
بقوم كرام نستجير من العدا عساهم يحيرونا بجود وتنصر

فهم سادة ما خاب قط نزيلهم حقيق بهم أن يستجروا وينصروا ولم لا فيهم قد نشأ اكرم الورى نبي له جاه عظيم مؤزر نبي الهدى الرحمن ناصر دينه له فئة أسد ليوث كواسر قال الراوي: ولم تزل بنو خزاعة سائرين إلى مكة المشرفة حتى قربوا منها ونزلوا في الابطح ثم دخل ساداتهم وكبرأؤهم إلى الحرم الشريف، فطافوا بالبيت الحرام، ووصلوا خلف المقام، وسعوا بين الصفا والمروة. فسمع سادات قريش وبنو هاشم وبنو عبد مناف وبنو عبد الدار وغيرهم من أهل مكة بقدومهم، فدخلوا عليهم الحرم، وأقبلوا عليهم مسرعين، وسلموا عليهم، وصافحوهم وعانقوهم واحضروا لهم الطعام والشراب، فأكلوا وشربوا. ثم أخبروهم فأجابوهم إلى سؤالهم. ثم وثب عند ذلك أبو سفيان وأشار إلى بني خزاعة أن اتبعوني. فقاموا وفرحوا بذلك وأقبلوا يسعون خلفه وكذلك السادات ومن كان حاضراً معهم، وأتى بهم دار الندوة فقال لهم: انزلوا ههنا آمنين مطمئنين على أنفسكم ومن معكم مستجبرين بالحرم الشريف. فلما رأى بنو خزاعة ذلك الاكرام من أبي سفيان وغيره من السادات فرحوا فرحاً شديداً وجازوهم على ذلك.

قال الراوي: فاقبلوا من وقتهم وساعتهم وارتحلوا من
الابطح بجمعهم ونزلوا في دار الندوة، وجعلوا يحمدون الله
ويهللونه ويسبحونه ويكبرونه على ما أوامهم وأجارهم من
عدوهم، وأكثروا من الصلاة والسلام على النبي ﷺ، وجعلوا
يكثر من الطواف بالبيت الحرام والسعي بين الصفا والمروة
مدة ثلاثة أيام بلياليها، وقد زال عنهم الخوف والفرع وسادات
مكة لا تفارقهم ليلاً ولا نهاراً، والضيافة تأتيهم من أول النهار
إلى آخره، والحذر لا يغني من القدر وكان أمر الله قدراً
مقدوراً.

ذكر فتوح مكة وقتلهم الخزاعين ليلاً وأخذ أموالهم
ومعاونة أهل مكة لهم في ذلك

قال الراوي: ولم تزل عساكر بني بكر سائرين حتى أشرفوا
على أهل مكة المشرفة، وساداتها لم يزالوا سائرين لمكة طالبين
حتى قربوا منها فنزلوا بالأبطح، فدخلوا بساداتهم وكبرائهم إلى
الحرم الشريف، واجتمعوا بسادات مكة وأكابر أهلها فسلموا
عليهم وصافحهم واحضروا لهم الطعام والشراب، فامتنعوا
عن الأكل والشرب، فقال لهم أبو سفيان: ما الذي منعكم أن

تأكلوا من طعامنا؟ فقالوا: يا أبا سفيان، لا نأكل ولا نشرب من عندكم حتى تمكثونا من أعدائنا وأخذ ثأرنا منهم، فقد قتلوا منا فارساً مناعاً وكان في الحرب يعد بألف فارس، وإلا نقضنا العهود والمواثيق التي بيننا وبينكم بالقتال والحرب الشديد. فوثب عند ذلك أبو سفيان وقال لهم: يا ساداتنا قد أجبناكم إلى مطلوبكم فكلوا واشربوا وطيبوا أنفسكم واشرحوا صدوركم، ولكن اصبروا حتى يذهب النهار بنوره ويأتي الليل بظلامه؛ فعند ذلك أخذوا أهبتهم ولبسوا لامات حربهم وجعلوا ينتظرون قدوم أبي سفيان.

فبينما هم كذلك إذا أقبل عليهم أبو سفيان في نصف الليل الثاني فوجدهم مهيتين، فقال لهم: يا سادات بني بكر دونكم وأعداءكم ونحن نساعدكم. فوثبوا عند ذلك كالأسود الضارية وهجموا عليهم وهم بين قائم وراكع، فوضعوا فيهم السيف فقتلوه عن آخرهم رجالاً ونساء، أحراراً وعبيداً، إلا رجلين منهم قد سلمهما الله تعالى بجوده وكرمه ووقايته ورعايته ليكون ذلك سبباً لفتح مكة. وذلك أن الرجلين، عندما استيقظا من نومهما ونظرا إلى الأعداء وقتلهم في قومهم، جعلا أنفسهما بين القتل وأعمى عنها أبصار الأعداء بقدرته. وكان

أحدهما يسمى هذيل بن أرقم والثاني عمرو بن سالم.

قال الراوي: فلما أصبح الله بالصباح وأضاء كوكب نوره ولاح، وقد قتل بنو بكر قومهم وعشائره وغنموا ما كان معهم، وأهل مكة يعاونوهم في كل ذلك. فلما رأيا ذلك الأمر بكيا بكاء شديداً، ثم ألهمها الله تعالى أن يسيرا إلى النبي عليه الصلاة والسلام ويستجيران به ويطلبان ثأرهم من عدوهم. فالتفت هذيل بن أرقم إلى عمرو بن سالم وقال له: يا أخي هيا بنا نخرج من مكة سالمين لئلا يعلموا بنا فيقتلونا. فأجابه إلى ذلك، وقد سترهما الله تعالى بستره الجميل. ثم أقبل عمرو إلى هذيل وقال له: ما أصابنا ذلك إلا بصحبتنا لرسول الله وعيرتنا عليه، فامض إليه نسلم عليه ونطلب منه أن يأخذ بثأرنا من أعدائنا. فوالله ما خاب من قصده.

قال الراوي: ثم أقبلا مسرعين، وإلى مدينة النبي عليه الصلاة والسلام طالبيين. فلما ابتعدا عن مكة المشرفة قال عمرو ابن سالم لهذيل بن أرقم: يا أخي جد بنا في المسير لئلا يسبقنا أحد من أهل مكة يشتكينا للنبي عليه الصلاة والسلام فتبطل حاجتنا ويخيب سعينا فأجابه إلى ذلك وأنشد يقول:

على رأسنا نسعى إلى خير مرسل
نسير إلى من ظللته غمامة
ومن جاءت الأشجار طوعاً لأمره
ومن جاء بالدين الخفيفي داعياً
عساه بفضل الله يجبر كسرنا
ويأخذ ثأراً من لثام ببيغهم
ولكن قتلنا مشركاً ومعانداً
فيا سيد الكونين يا أشرف الورى
فما خاب من اضحى لذاتك طالبا
أتانا بنو بكر اللثام جميعهم
وقد قتلوا أولادنا ورجالنا
فخذ يا رسول الله بالثأر منهمو
وأكرم مبعوث أتى بالرسالة
من الحر والبرد في كل لحظة
وخاطبه ظلي الفلا مع غزالة
إلى رب العالمين بدعوة
وينصرنا من أهل شرك ضلالة
علينا بلا ذنب ومن غير جريمة
لقد طال ما سب النبي بجحده
ويا خير مبعوث أتى بالرسالة
وما خاب من أمسى لديك بحالة
وصالوا علينا بالتسيوف الصقيلة
ولم يبق منا من تراه بمقلة
فلما شهدنا كلنا بالرسالة

قال الراوي: ولم يزالا في المسير مجدين وإلى مدينة رسول
الله قاصدين، فلما وصلا إليها أتيا مسجد النبي عليه الصلاة
والسلام، فاستأذنا في الدخول عليه فأذن لهما فدخلوا عليه وهما
باكيان مستغيثان بالله ورسوله، فسلما عليه فرد عليهما السلام،
ورحب بهما وأكرمهما، وقال لهما: ما الذي دهاكما؟ فأخبراه.
فقال لهما النبي عليه الصلاة والسلام: ألا أتيتما إلى مكة

واستجرتما بساداتها. فقالا: يا رسول الله وهل فعل بنا ذلك إلا أهل مكة؟ وقد مكثوا اعداءنا منا في دار الندوة. ثم إن هذيل بن أرقم انشد وقال:

فيا رسول الله أسرع بالندا وادعو عباد الله يأتوا مددا
إن قریشا أخلفوك الوعدا ونقضوا میثاقك المؤیدا
وهم أذل وأقل عددا ولم یخالفوا ربنا الموحد
جاءوا به واللیل یدو أسودا ونحن فی الظلام كنا سجدا
داعین الله الذی تمجدا وخاضعین للذی توحد
صلی علیك ربنا طول المدا ما سار نجم فی الظلام واهتدی

قال الراوي: فعند ذلك تغرغرت عينا رسول الله ﷺ بالدموع وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم ضرب يده على الأخرى، ثم استرجع وقال: فعلتموها يا قریش، فعلتها يا أبا سفيان! لِيَقْضِ الله أمراً كان مفعولاً.

قال الراوي: فما استتم كلام رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى نزل عليه الأمين جبريل وقال: السلام عليك يا رسول الله؛ العلي الأعلى يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام، ويقول لك: ملائكة السبع سموات قد بكوا بكاء

هؤلاء القوم مما نزل بهم، فلا تغفل عن دمائهم ولا عن أخذ ثأرهم فقال النبي ﷺ: يا أخي، يا جبريل، إن بيننا وبين أهل مكة وساداتها عهوداً ومواثيق. فقال جبريل عليه السلام: يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد.

ثم عرج من وقته إلى السماء، فما كان إلا ساعة حتى نزل وقال: السلام عليك يا رسول الله، اقرأ. فقال له النبي ﷺ: يا أخي يا جبريل وما اقرأ؟ قال: اقرأ قوله تعالى ﴿وإن نكنوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم يتتهون﴾ * إلا تقاتلوا قوما نكنوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدعوكم أول مرة انخسبهم فإله الحق ان تخشوه أن كنتم مؤمنين﴾ إلى ﴿والله عليم حكيم﴾.

ثم عرج إلى السماء سريعاً فقال النبي عليه ﷺ عند ذلك ثلاثاً: بما أخاف وأحذر؟ ثم التفت النبي عليه الصلاة والسلام إلى هذيل بن أرقم وعمر بن سالم وقال لهما: يا بني خزاعة هل بقي لكم من عشيرة في حيكم؟ قالوا: يا رسول الله الحي ملان بالرجال والأطفال والشجعان والفرسان. فقال النبي ﷺ: امضيا إليهم وأتياني بهم مسرعين ولا تتركا في الحي إلا النساء والصبيان ومن لا طاقة له على الجهاد والقتال، ولا تمهلا؛ فإننا

ذاهبون لنصرتكم إن شاء الله تعالى . فأجابه بالسمع والطاعة ،
وقبلا يده الكريمة ، وواعده ، فدعا لهما ، وخرجا من المدينة
فرحين مسرورين . فلما ابتعدا عن المدينة نطق لسان الحال
يقول :

أتينا لخير المرسلين محمد بقلب كسر صار بالكسر مؤلما
فجاد علينا بالقول بفضله وواعدنا أخذا بشار واکرما
وبادر باعلام كل قبيلة لتؤدي إليه جيش حرب عرمرما
وقال لنا سيروا إلى الحي سرعة بجيش لنا تأتي به ونكلنهما
فما خاب عبد يستجير باحمد شفيح لنا يوم الحساب مقدا
نبي له جاء عظيم ورفعة على أنبياء الله حقا مكرما

قال الراوي : ثم إن النبي ﷺ قال : أين ابن عمي كرم الله
وجهه ؟ فأجابه بالتلبية : ها أنا بين يديك مُرني بما تريد . فقال
عليه الصلاة والسلام : يا أبا الحسن اكتب إلى كل القبائل
والعربان ممن دخل في ديننا وآمن بربنا ، وصدق برسالتني
ونبوتي ، ليحضروا إلينا بجيوشهم وعساكرهم للجهاد في سبيل
الله ليحصل الأجر والثواب والغنيمة إن شاء الله . فأجابه الإمام
علي رضي الله عنه بالسمع والطاعة .

قال الراوي: ثم إن الإمام علياً، رضي الله تعالى عنه، كتب كما أمره النبي ﷺ، ثم دعا بالسادة، مثل عمر بن أمية الضميري وعبدالله بن أنيس الجهني وأمثالهما، وأمرهم أن يتوجهوا بالكتب إلى القبائل والعربان، وأمر النبي أهل المدينة المنورة أن يأخذوا الأهبة للغزو والقتال. وكان قد استهل شهر رمضان المعظم فقدمت وفود العرب على النبي ﷺ والسادات والنجباء وأهل الفضل والأدب، وكان أول من قدم عليه أول يوم من رمضان قبائل مزينة وفرسانها، وفي اليوم الثاني أتت إليه جهيئة وشجعانها، وما زال كل يوم تأتيه قبيلة من العربان أمر النبي عليه الصلاة والسلام.

فلما تكاملت القبائل قال عليه الصلاة والسلام لبلال أن يأتيه ببغلة الدل، فأتى بها مسرجة ملجمة. فلما جاء بها إليه ركبها صلى الله عليه وسلم وكان ملحفاً ببرده الصفراء متقلداً بسيفه وفي أصبعه اليمين خاتم من الفضة البيضاء، وأخذ الإمام علياً كرم الله وجهه عن يمينه، والعباس عن يساره، وحوله أهله وأقاربه والمهاجرون والأنصار، وهو بينهم كالبدور في ثمامه ولم يبق في المدينة ذلك اليوم لا كبير ولا صغير، ولا مخدورة في خدرها ولا محجوبة في بيتها، إلا وخرجت، ذلك

لكي ينظروا إلى نوره صلى الله عليه وسلم وإلى كثرة تلك القبائل والعربان، ولم يكونوا رأوا مثل كثرتهم قط. ثم أمر النبي ﷺ مَنْ ينادي في سائر القبائل والعربان: النبي ﷺ قادم عليكم فتأهبوا لقدمه والسلام عليه فإن مَنْ نظر إلى وجهه الكريم وسمع حسن كلامه ومنطقه سعد في الدنيا والآخرة.

ذكر النبي صلى الله عليه وسلم للقبائل والعربان وسلامه عليهم

فلما سمعت القبائل والعربان المنادي لبوا قائمين على اقدامهم، ودخلوا خيامهم الهندية، واعتقلوا بالرماح الخطية، ووقفوا صفوفاً ينظرون قدوم النبي صلى الله عليه وسلم، فنطق عند ذلك لسان الحال مترجماً عن المقال يقول:

رجونا وتقنا للذي زين الورى بوجه يفوق البدر ليلاً إذا بدا
محمد المبعوث للناس رحمة ومنقدهم من ظلمة الكفر والردى
ويجلى قلوبا بعد شين ضلالة وأضحى لدين الشرك بالسيف أحدا
نبي إذا أسرى فتسري غمامة عليه تقيه الحر والبرد سرمداً

وتحظى بنيل الاجر حومة الوغى وتقتل من أضحى عنيدا معاندا
إليك رسول الله جئنا بجمعنا لندرجوه امامنا في المعاد ومسمدا
فكن ذخرا يا سؤلنا ورجاءنا فما خاب من اضحى بجاهك منجدا

قال الراوي: فبينما القبائل وسائر العربان واقفون صفوفاً قد
ملاوا الأودية والقفار والسهل والأوعار، إذا سطع لهم نور قد
علا وقد أخذ بعنان السماء، وإذا هم برسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد أقبل عليهم بوجهه الكريم وهو بين أقاربه
وأصحابه وعشيرته والمهاجرين الأنصار كالبدر في تمامه وكمالهِ .
فجعلت كل قبيلة تترجل عن خيولها اكراماً لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وتأتي وتقبل يديه، فسلم عليهم وهو يرحب
بهم ويأمرهم بالرجوع إلى خيمهم . وما زالوا يأتون قبيلةً إلى
أن سلم على جميع القبائل والعربان وكانوا يومئذ اثنتين وسبعين
قبيلة^(١) لا يعلم عددهم إلا الله سبحانه تعالى ا هـ .

قال الراوي: فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم كثرة
القبائل والعربان رفع يديه إلى السماء وجعل يدعو، أو يقول:
رب أوزعني إن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي

(١) قوله لا يعلم الخ . . كانوا عشرة آلاف .

وإن أعمل صالحاً ترضاه، اللهم حَقِّقْ لنا في قريش ما وعدتني به وما عزمت عليه، فلا يشعرون إلا ونحن في ديار القوم. إنك وعدتني بالنصر والغنيمة، وإنك لا تخلف الميعاد، يا مَنْ أمره بين الكاف والنون، يا مَنْ إذا أراد شيئاً أن يقول له كُنْ فيكون يا رب العالمين.

قال الراوي: فلما فرغ النبي ﷺ من سلامه على القبائل والعربان مع أصحابه وأقاربه والمهاجرين والأنصار، أتى إلى مسجده صلى الله عليه وسلم وصلى بأصحابه صلاة الظهر، وأسند ظهره المبارك إلى حائط محرابه، استأذنه حاطب بن أبي بلتعة القيسي أن ينصرف إلى أهله فأذن له ولغيره من الحاضرين.

قال الراوي: فلما خرج من المسجد ونظر إلى تلك القبائل والعساكر والجيوش قال في نفسه لقد غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوات كثيرة ما رأينا أكثر من هذه العساكر والجيوش، وما أظن أنه جمع هذه العساكر والجيوش إلا يريد مكة ولنا فيها أقارب وعشائر ومحارب. ولئن دخل بهذه العساكر والجيوش مكة لا يدع فيها كبيراً ولا صغيراً إلا أهلكه، ولا مآلاً لأحد من أهلها إلا أخذ، ولا امرأة إلا سباها. والله لأكاتبهم

بكتاب أعلمهم فيه بما قد عزم عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ليكونوا معه على أهبة وحذر. ثم عمد قاصداً إلى منزله ودخل وأغلق بابه وعمد إلى دواة وقرطاس وكتب كتاباً بيده ويقول: بسم الله الرحمن الرحيم من عند عبدالله حاطب ابن أبي بلتعة القيسي إلى أهل مكة وساداتها وكبرائها من سادات قريش وأبي سفيان وغيرهم من سائر القبائل والعربان؛ أعلمكم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد جمع جيوشاً وعساكر ما رأيته قد جمع مثلها أبداً، وأظن أنه لا يريد بها إلا قتالكم ومحاربتكم. فكونوا على أهبة وحذر من حولكم من القبائل والسادات والعربان ليعينوكم على قتاله ومحاربته. وقد اشفقت عليكم، ولو استطعت المجيء وكنت عوضاً عن هذا الكتاب، لفعلت. ثم كتب في آخره هذه الأبيات:

جهدت بجهد ويلكم لا تغفلوا وكونوا على خوف وإلا فتخذلوا
إذا لم تدينوا بالذي جاءنا فحولوا عن البيت الحرام وارحلوا
فإن دمي فيكم ونصحي لكم أبداً ولولاكم والله ما كنت أفعل
وكونوا على أهبة يا أقاربي ولا تغفلوا عن المكان فتقتلوا
قال الراوي: ثم أخبرهم في كتابه ما عاينه من أمر النبي

صلى الله عليه وسلم من أوله إلى آخره. ثم طوى الكتاب وختمه بخاتمه ووضعه في عمامته، وأخذ معه مائة دينار وخلعة يمانية يرغب فيها لمن يوصل الكتاب لأبي سفيان وأهل مكة. ثم قام وتقلد بسيفه وركب جواده واعتقل برمحه، فتعلقت به زوجته وقالت: إلى أين بعثك النبي صلى الله عليه وسلم ولا تعلمنا؟ إن هذا الأمر عجيب. فقال: والله، ما ثم رسالة ولا غزوة، ولكن لي أصحاب بظاهر المدينة عزمتم على زيارتهم. فقالت: الصحبة والسلامة حتى ترجع إلينا سالماً غائماً. ثم قبلت صدره ويديه وخرج من منزله وأطلق عنان جواده حتى بُعد عن المدينة. ثم ترجل عن جواده وأخذ بعنانه وجلس على قارعة الطريق ينتظر أحداً متوجهاً إلى مكة أو جاء منها.

قال الراوي: وكانت امرأة من أهل مكة اسمها جرادة قد أتت إلى أهلها بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم زائرة، وقامت عندهم أياماً، ثم استأذنتهم في الرجوع إلى مكة، فجهزوها بإحسان وإنعام وخير وإكرام وأقبلوا عليها وودعوها وشيعوها إلى ظاهر المدينة، ثم أمروها بالمسير. فركبت راحلتها ورجعوا عنها.

قال الراوي: فصادفت بأمر الله وقضائه حاطب بن أبي بلتعة القيسي فمرت به وهو جالس على الطريق، فلما رآها عرفها فنادها: على رسلك يا جرادة.

قال الراوي: فلما سمعته أناخت راحلتها ونزلت عنها، وأقبلت إليه وسلمت عليه وقبلت يده، ثم قالت: يا مولاي هل من حاجة أفوز بقضائها؟ فقال حاطب: أي والله يا جرادة وأي حاجة وهي لك عندي بحوائج كثيرة ويكون لك اليد العليا عندي ابداً ما دمت حياً. فقالت له: يا مولاي وما هي؟ فقال لها: اصبري علي ولا تعجلي. ثم إنه أخرج من جيبه صرة وفتحها وعدّها لها في يدها مائة دينار، ثم أخرج لها الخلعة من كمه، ثم قال لها: يا جرادة هذا الذهب وهذه الخلعة هبة مني إليك على أن توصلي هذا الكتاب إلى أبي سفيان صخر بن حرب ويكون بعد غروب الشمس، ولا تعلمي أحداً من أهل مكة ولا من أهلك، فأجابته بالسمع والطاعة. وفرحت بالذهب والخلعة فرحاً شديداً.

ثم قال لها: يا جرادة، اعلمي في أي شيء تخفيه؛ فإنني أخاف من بني هاشم وبني عبد المطلب لئلا يتعرض أحد منهم

إليك يفتشك ويأخذ الكتاب ويرسله للنبي وأفضح بين يديه
ووالله إن الموت عندي أهون من الفضيحة بين يدي رسول الله
صل الله عليه وسلم. فقالت له: يا مولاي أجعله في فمي.
فقال لها: يفتشونه ويأخذونه. فقالت: يا مولاي أجعله في لبد
رجل راحلي. فقال لها: يفتشونه ويأخذونه. فقالت: يا
مولاي أجل ضفائر شعر رأسي وأجعله فيه. فقال لها: الآن
طاب قلبي واطمأنت نفسي بذلك؛ لكن افعلي حتى أنظر
ليزداد قلبي سكوناً، فلما خائف أن أفتضح أمام رسول الله
صلى الله عليه وسلم. فغابت عنه قليلاً ثم حلت ضفائرها
وجعلته فيها، وأقبلت عليه. فلما رأى ذلك فرح فرحاً شديداً،
وظن أنه وصل إلى مطلوبه ومراده، والله غالب على أمره
ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

قال الراوي: ثم رجع إلى مدينة رسول الله ﷺ فدخل بيته
وسلم على زوجته وأولاده وكان قد أتى لهم بشيء من تمر
المدينة، ففرحوا به فرحاً شديداً. فهذا ما كان من أمر حاطب
ابن أبي بلتعة.

وأما ما كان من جرادة فإنه ودعها حاطب بن أبي بلتعة

وركبت راحلتها وتوجهت طالبة مكة المشرفة وأطلقت زمام راحلتها. فلما أراد الله تعالى انفاذ وعده لنبيه ﷺ أرسل جبريل فهبط على النبي ونادى: السلام عليكم يا رسول الله، العليُّ الأعلى يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول: أنت غافل والله سبحانه وتعالى ليس بغافل، والله عليهم بذات الصدور؛ اعلم أن حاطب بن أبي بلتعة القيسي من أصحابك قد كتب كتاباً لأهل مكة وغيرها وبما عزمت عليه. وقد أعطاه لامرأة اسمها جرادة واعطاها مائة دينار وخلعة يمانية على أن توصل الكتاب لأبي سفيان صخر بن حرب، وقد جعلته في ضفاير شعرها؛ فارسل ابن العوام وعلي بن أبي طالب يأخذان منها الكتاب ولا يقتلاها فإنها تسلم على يديهما.

قال الراوي: فلما سمع النبي ﷺ غضب غضباً شديداً، ثم قال: أين علي؟ فأجابه: لبيك يا رسول الله ها أنا بين يديك. فقال: يا أبا الحسن امض أنت والزبير بن العوام سريعا، وأدركا امرأة متوجهة إلى مكة اسمها جرادة بموضع كذا، وخذا منها الكتاب الذي أعطاه لها حاطب بن أبي بلتعة القيسي ولا تقتلاها فإنها تسلم على أيديكما، وأمرها أن لا تخبر أهل مكة

بشيء مما نحن فيه . وقال: ادن مني يا أبا الحسن ، - وكان الزبير قد ذهب إلى بيته لإصلاح أمره - فأسر له كلاماً سرا ودعا له بخير . فقبل الإمام يديه ثم أقبل على جواده وركبه وتقلد بسيفه واعتقل برمحه ، وإذا بالزبير قد أتى وقبل يدي النبي ﷺ بعد أن دعا لهما بخير ، وخرجا مسرعين ولقضاء حاجة النبي عازمين .

قال الراوي: ثم إن الزبير بن العوام رضي الله عنه استأذن الإمام علي رضي الله عنه في اللحاق بها فأذن له ، فهمز جواده فخرج به كالريح العاصف فأدركها . فلما قرب منها ناداها: على رسلك يا جرادة تمهلي . فلما سمعته أناخت راحلتها ونزلت عنها ، ونظرت إليه وعرفته ، فأقبلت تسعى إليه ، فترجل عن جواده ، فسلمت عليه وقبلت يده ، وقالت: يا أخا القرابة والعشيرة هل لك من حاجة؟ قال: نعم . فقالت: وما هي؟ فقال: يا جرادة ، ناوليني الكتاب الذي أعطاه لك حاطب بن أبي بلتعة القيسي . فقالت: يا مولاي ومن هذا الذي ذكرته وأنا لا اعرفه ولا رأيته وها أنت وراحلي وما عليها . ثم تأخرت فعند ذلك تقدم الزبير إلى راحلتها وفتشها من أولها إلى آخرها فلم يجد فيها شيئاً . فتأخر عنها وارادت أن تودعه وتسافر ، فقال لها الزبير: اصبري حتى يأتينا الإمام علي بن أبي طالب

كرم الله وجهه. فلما سمعت بذكر الإمام علي ارتعدت فرائصها
وتغير لونها.

قال الراوي: فبينما هما في الكلام وإذا بالإمام قد أقبل
كالأسد الدرغام فلما دنا منها أقبلت إليه وسلمت عليه وقبلت
صدره ويده فترجل عن جواده وقال لها: يا جرادة ناوليني
الكتاب الذي أعطاه لك حاطب بن أبي بلتعة القيسي.
فقالت: يا مولاي لم يكن لهذا الأمر مراسل سَلَّ ابن عمك
الزبير.

قال الراوي: وكان جواب ابن الزبير لدى سؤال عليّ كرم
الله وجهه: يا أبا الحسن فتُشَّت راحلتها فما وجدت شيئاً.
فالتفت إليه الإمام رضي الله عنه وقال له: اعلم يا زبير أن ابن
عمي محمداً ﷺ لم يقل إلا عن جبريل عن رب العالمين عزَّ
وجلَّ، ولكن تأخر عنها، يا زبير، حتى أنظر إلى صدق ابن
عمي محمد عليه الصلاة والسلام وجبريل عليه السلام.

قال الراوي: فلما سمع الزبير ذلك تأخر عنها وتقدم الإمام
إليها وقال: يا جرادة أتعرفيني؟ فقالت: أي، والله، حق
المعرفة، ولا أنكر منك شيئاً. فقال لها: مَنْ أنا؟ فقالت له:

أنت الإمام علي بن أبي طالب. فقال: صدقت فيما تقولين،
فاسمعي ما أقول ودعي عنك كثرة الفصول وأشار إليها بهذه
الآيات يقول:

جراحة حلي الشعر ذا بتمهل ولا تنكري شيئاً فإني أنا علي
ومنه اطلعي لي ما يكون محبا يا من رسول الله حقاً اسر لي
كتاب سرى لأعدائنا يرى يخبرهم فيه عن أمر له جلي
ولا تتأني فالحسام مجرد فراسك أرميه وللنار تصطلي
وبعد فنطقاً عاجلاً بشهادة لرب العلي والمصطفى خير مرسل
تفوزي بجنات وحوار تزينت وولدائها الحسن والخور تنجلي
وتحظي بخير العالمين عمدا وأصحابه أولي الوفا والتفضل

قال الراوي: فلما سمعت جرادة تقدمت إلى الإمام رضي
الله عنه، وقالت له: يا مولاي مَنْ أخبرك بذلك؟ فقال لها
الإمام: أخبرني ابن عمي محمد عليه الصلاة والسلام عن
جبريل عليه السلام عن رب العالمين. قالت: صدقت يا مولاي لا
شك بعد يقين، ولا كفر بعد إيمان، امدد يدك فأنا أشهد أن لا
إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً رسوله، الله
وأنت وليُّ ذو العلم واليقين. ثم أخرجت الكتاب و أولته

وقالت: هداك الله تعالى كما هداني بجوده وكرمه على يدك
الكريمة، أحسن لي بأمر واحد من بعض فضائلك العميمة
فقال لها الإمام: وما هو؟ فقالت: الأمان. فقال: أبشري
فإنك في أمان الله تعالى وأمان رسوله في الدنيا والآخرة من
عذاب الله؛ ولكن يا جرادة إن لي عليك شرطاً واحداً.
فقالت: وما هو؟ يا مولاي؟ فقال لها: لا تخبري أحداً من أهل
مكة ولا من أهلِكَ حتى تنظري سيد المرسلين فإن خالفت
وأخبرت به أحداً فقد خالفت الله ورسوله، وإنه للذنب عظيم.
فقالت: يا مولاي، لك عليّ ذلك. ثم قبلت يديه فدعا لها
بخير وأشار إليها بالمسير، فركبت راحلتها وأفلتت زمامها.

ثم إن الإمام رضي الله تعالى عنه أقبل على الزبير وقال له:
يا زبير كيف نظرت إلى صدق رسول الله عليه الصلاة والسلام
وصدق جبريل عليه السلام عن رب العالمين جل وعلا؟ فأقبل
الزبير إلى الإمام وقبل صدره وقال: يا أبا الحسن اجعلني في
حل مما تكلمت به فيما لا أعلم. فتبسم الإمام علي رضي الله عنه
وقال: أنت في حل من ذلك كله يا ابن العمّة. ثم سارا
راجعين بالكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهما فرحان

مستبشران بقضاء حاجة النبي صلى الله عليه وسلم ونطق عند ذلك لسان يقول:

قضينا حاجة المختار سرا وفزنا بالأجور وبالثواب
وأسلمت الكريمة ثم نالت عطاء وافراً بين الحساب
وعاشت في أمان واكتساب من الخيرات في أبهى ثواب
وأبدت نصحتها من غير خوف بإظهار الكتاب مع الجواب
فأتاها من الرحمن فضل جزيل ليس فيه من ذهاب
وهذا كله من أجل طه نبي جاء يدعو للصواب
له الأشجار جاءت من بعيد فأيد نطقها صدق الخطاب
وكم للمصطفى من معجزات له شهدت بذلك والكتاب

قال الراوي: ثم دخلوا على النبي عليه الصلاة والسلام
فسلموا عليه وقبلوا يديه وناولوه الإمام علي كرم الله وجهه
الكتاب ثم قرأه عليه. فغضب عند ذلك رسول الله عليه
الصلاة والسلام غضباً شديداً لأمر الله تعالى، ثم أمر بلالاً
رضي الله تعالى عنه أن ينادي: الصلاة جامعة مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم. فأقبلوا إليه مسرعين ولأمره طائعين
حتى ضاق المسجد بأهله. فصلى بهم النبي عليه الصلاة

والسلام ركعتين، ثم دعا، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم ذكر نفسه الزكية الطيبة الكريمة فصلى عليها، ثم ذكر الأنبياء فصلى عليهم، ثم قال: أيها المسلمون الحاضرون أيكم كتب هذا الكتاب لأهل مكة يخبرهم بأمر الله تعالى وما عزمنا عليه من غير إذن من الله تعالى ولا من رسوله فليقم طائعاً لله ورسوله أراه وأعرفه، وإلا أقامه جبريل عليه السلام كرهاً بأمر رب العالمين.

ذكر إقرار حاطب بن أبي بلتعة القيسي بما فعل بين يدي النبي عليه الصلاة وازكى السلام وهجرته صلى الله عليه وسلم وأصحابه له وذكر توبته وقبولها ببركة النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه ونزول جبريل عليه الصلاة والسلام وإعلامه بقبول توبته من الله تعالى

قال الراوي: فلما سمع الناس كلام النبي عليه الصلاة والسلام ماج بعضهم ببعض وماج المسجد بمن فيه. فعند ذلك قام حاطب بن أبي بلتعة وهو يرعد كالسعة في يوم ريح عاصف وقال في نفسه: والله لقد وددت لو أن الأرض تبعلني

في تلك الساعة وقد هممت أن أهيم على وجهي فلم أجد
لذلك سبيلاً.

ثم تقدم حاطب بن أبي بلتعة القيسي حتى صار بين يدي
النبي عليه السلام فنادى: السلام عليك يا رسول الله. فرد
النبي عليه السلام ثم قال له: من أنت أيها الرجل؟ فقال له:
يا رسول الله أنا حاطب بن أبي بلتعة القيسي. فقال له النبي
عليه الصلاة والسلام: أنت الذي كتبت هذا الكتاب؟ فقال:
نعم يا رسول الله. فقال: ما حملك على مخالفة الله ورسوله
وإفشاء سره من غير إذن الله ورسوله؟ فقال له: اعلم يا رسول
الله أني مررت في بعض أسفاري على أهل مكة فأضافوني
وأكرموني فأردت أن أتخذ بهذا الكتاب إلى عندهم يداً مكافأة
عن إكرامهم لي، ففضحني الله تعالى بالوحي إليك. وها أنا
مقر بذنبي، ممثّل بين يديك؛ فافعل بي ما يرضي الله ورسوله.
أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو من الذنب العظيم،
وأتوب إليه توبة عبد ظالم لنفسه ولا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً
ولا حياة ولا نشوراً. واعلم يا رسول الله أني ما كفرت بعد
إسلامي، ولا نافقت بعد إيماني، وكل شيء بقضاء الله وقدره.
وجعل يبكي ويتحبب بين يدي رسول الله عليه السلام.

قال الراوي: فرفع النبي ﷺ رأسه وقال: يا هذا الرجل، اذهب إلى منزلك وابك على ذنبك وخطيئتك فإني لا أتكلم فيك إلا بأمر الله تعالى فهو يحكم بما يشاء وهو خير الحاكمين ثم إن النبي ﷺ أمر الصحابة والأنصار أن لا يختلطوا معه لا في أكل ولا في شرب.

قال الراوي: فلما رأى ذلك حاطب بن أبي بلتعة القيسي من النبي ﷺ استأذنه في الانصراف إلى منزله فأذن له، فخرج باكياً حزيناً نادياً على فعله حتى دخل منزله وأخبر زوجته بذلك. فبكت بكاء لبكائه وحزنت لحزنه. ثم عمد إلى حبل من الصوف كان لجواده فربط نفسه في شجرة مغروسة في منزله، وحلف على نفسه لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يحل له أحد حتى يرضي الله ورسوله عنه أو يموت صبراً أو أسفاً. ثم أخذ في البكاء والنحيب وزوجته وأولاده حوله يبكون ويتضرعون إلى الله ويدعون له بالتوبة والغفران والرضا من الرحيم الرحمن، فنطق لسان الحال شعراً:

أيارب عفواً من إساءة من أسا ولم يرضَ يا رب بما أنفذ الأمر
وقد تاب من فعل وقول ما جرى فجداً يا كريم العفو له الوزر

ورد عليه المصطفى أكرم الورى نبي أتاننا بالنعيم يبشر
وسامح وجُدّ وامننّ عليه بتوبة فلإنك أنت الله للكسر يجبر
واجمع له شملأ يحبه قبيل موته فلإنك مولانا رحيم وتغفر
تجاه الذي أضحي لمكة فاتحاً وأرسلته للناس بالحق ينذر

قال الراوي: ولم يزل حاطب بن أبي بلتعة يبكي وينوح
على نفسه ويتضرع إلى الله تعالى وزوجته وأولاده ليكون وهم
لا يفارقونه ولا يأكلون ولا يشربون حتى ضعفت قوتهم وتغيرت
الوانهم وانتحلت اجسامهم. فنظر الله تعالى إليهم بعين الرحمة
ورحم حاطبا وقبل توبته وأقال عثرته وغفر ذنبه. فعند ذلك أمر
جبريل عليه السلام أن يهبط على النبي ﷺ ويخبره بذلك فنزل
عليه وناداه: السلام عليكم يا رسول الله، العلي الأعلى يقرئك
السلام ويقول: اقرأ. قال: يا أخي وما اقرأ؟ قال: ﴿قل يا
عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن
الله يغفر الذنوب جميعاً أنه هو الغفور الرحيم﴾. واعلم أن
الله قد جاد بكرمه وفضله ورحمته على عبده حاطب بن أبي
بلتعة القيسي وقبل تضرعه وبكائه، وقبل توبته، وغفر له
اكراماً لك، فإنه من أصحابك. فارسل إليه مَنْ يبشره بالتوبة
وقبولها ويأتون به إليك، فاستغفر له وادع له وللمسلمين ثم

عرج جبريل عليه السلام من وقته إلى السماء.

فعند ذلك فرح النبي ﷺ وأمرهم أن يتوجهوا إليه ويبشرونه بقبول توبته. فأجابوه بالطاعة، فأقبلوا مسرعين وإلى توبته مبادرين. فلما أتوا إلى منزله فسمعوا بكاءه ثم نادوا: ارفق بنفسك وامسك عن البكاء والنواح ولك البشارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن رب العالمين جل وعلا بالتوبة وقبولها بالمغفرة والرحمة، وقد رحمك بجوده وكرمه، ونحن إخوانك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما نظرت إليهم حاطب صرخ صرخة عظيمة كاد أن يفارق الدنيا وخر مغشياً عليه. فتقدم إليه الإمام علي رضي الله تعالى عنه ونضح الماء على وجهه، فأفاق، ثم حلّوه من الشجرة، وسلموا عليه وصافحوه وعانقوه وبشروه بالتوبة وقبولها من رسول الله ﷺ. ثم أمر الإمام علي رضي الله عنه زوجته أن تأتيه بآنية من الماء فتوضأ واغتسل ولبس ثياباً نظيفة وصلى ركعتين شكر الله تعالى على ما أولاه من نعمه وكرمه وجوده، فنطق عند ذلك لسان الحال:

جاء الثواب مع الغفران الكرم إلى الذي قد أتى بالذنب والحرم

وجاد رب السما من فضله كرما على المسيء الذي قد حل في الندم
سبحانه من إله واحد صمد معطي العطايا ولم يعط ولم ينم
قد خصنا برسول الله سيدنا من جاءنا داعياً بالفضل والكرم
وكان اشجعهم في كل معركة والقلب منه بطول الدهر لم ينم
وخصه الله رب العرش خاتماً بمعجزات فلا تحطى من القدم

ذكر مسيره بالعساكر والقبائل والعربان وبيان معجزاته في
الحضر والسفر

واين هو طالب وقاصد

قال الراوي: ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم منادياً
ينادي في سائر القبائل والعربان بالرحيل فارتحلوا من أرض
المدينة الطيبة الامينة، وكان ذلك في النصف من شهر رمضان.
فسار النبي صلى الله عليه وسلم بالعساكر والعربان والجيش
إلى أن وصلوا وادياً، وإذا بغربة قد طلعت عليهم. فوقفوا
ينظرون ما تحتها؛ فإذا هي قد انكشفت عن عشرة فوارس
ليوث عوابس، مقدمهم رجل طويل القامة عظيم الهامة شجاع
في الحرب والقتال وملاقة الفوارس والأبطال وهو حسين

الفزاري. فلما قرب من النبي صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه ترجلوا على خيولهم وأقبلوا مسرعين وإلى رسول الله ﷺ قاصدين ثم أتوا إليه وسلموا عليه وقبلوا يديه فرد عليهم السلام ورحب بهم وأمرهم بالرجوع إلى خيولهم فركبوا وساروا أمامه. فبينما هم كذلك إذ أقبل عليهم العباس بن مرداس السلمي وصحبته عشرة آلاف فارس ليوث عوابس. فلما قربوا من النبي صلى الله عليه وسلم، ترجلوا عن خيولهم وأقبلوا مسرعين وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين، وكان معهم خمس رايات معقودة على رايات الجاهلية لا ينكرون عليها: الراية الأولى بيد العباس مقدمهم، الثانية بيد صفوان وكان بطلاً شجاعاً، والثالثة حاملها الضحاك، الرابعة بيد زيد وكان بطلاً شديداً، الخامسة بيد جزمة.

. قال الراوي: ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم في وادي عفان، ونزلت القبائل والعربان حوله حتى امتلأ الوادي بالجيوش والعساكر. فعند ذلك التفت صلى الله عليه وسلم إلى حصين فقال: لبيك يا رسول الله ودنا منه وقبل يده الشريفة، فقال له: يا حصين ما تنظر إلى العباس بن مرداس السلمي كيف أتى إلى نصرتنا في عشرة آلاف فارس، وأنت قد جئت

إلينا في عشرة فوارس. فقال حصين: يا رسول الله اقبل عذرا لأنه لم يأتنا من عندك رسول ولا كتاب، والذي أرسلك بالحق بشيرا ونذيراً لو علمنا بهذه الغزوة ما تركنا في الحي غير النساء والصبيان ومن لا طاقة له على القتال. فشكره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك ودعا له بخير. فقال: يا رسول الله إن في ديارنا من تزيد عدتهم عن عشرين ألف فارس مستعدين للجهاد في سبيل الله تعالى بين يديك، فإن أذنت لي رجعت وأتيت إليك بهم عاجلاً. فجازاه النبي صلى الله عليه وسلم خيراً، ودعا له ولأصحابه بكل خير وسلامة وغنيمة، وقال له: يا حصين جعل الله فيك وفي قومك الخير والبركة وفيك الكفاءة إن شاء الله تعالى لكل شدة وهامة.

قال الراوي: فلما سمع عباس بن مرداس السلمي كلامه مع النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه له ولأصحابه وقيامه بكل خير وغنيمة، داخله الحسد والغيرة ولم يقدر بكلمة في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم، بل انتظره حتى انصرف من عنده، وأقبل حتى أتاه في خيمته فسلم عليه، فرد عليه السلام ورحب به ثم قال له العباس: يا حصين. فقال: لبيك يا عباس. فقال: اليوم تفتخر علينا بعددكم وكثرتكم ونحن

أقوى منكم من عند العرب وأجود كفؤاً وأعلى نسباً واکراماً
فقال له حصين: كذبت والله يا عباس قد خاب أملك وسعيك،
أما وإن حصيناً أضربُ منك بالسيف وأقوى منك للضيف
وأفرسُ منك يا عباس ومن جميع بني سليم وصعصعة وخنعم.
قال الراوي: فغضب العباس من كلامه غضباً شديداً،
فقال: لا أم لك يا حصين، لمثلي توجّه بهذا الكلام وأنا أفرس
منك يا حصين ومن جميع فزارة وذبيان عن آخرهم أتذكركم
عند الخندق فقال له. الحصين: كأنك تعائرننا يوم هربت من
سيف الإمام علي رضي الله عنه، ثم نهض قائماً وأقبل على جميع
العساكر والعربان ونادى بأعلى صوته: معاشر القبائل والعربان
هل فيكم من ثبت لسيف الإمام علي بن أبي طالب ومجالاته في
الجاهلية والإسلام؟ فأجابوا عن آخرهم وقالوا: يا حصين ما
ثبت له أحد في الجاهلية إلا قتله مثل عمرو بن ود العامري
وعمر بن مرحب اليهودي الحبيري وأمثالهم. فقال العباس: يا
حصين ما ذكرت لك ذلك إلا لأنك يوم غزوة الخندق كنت في
عشرة آلاف فارس وقد سددت الطريق وحاصرت رسول الله
صل الله عليه وسلم في مدينته، فلما هداك الله للإسلام جئت
لنصرته في عشرة فوارس.

قال الراوي: فغضب حصين من كلامه غضباً شديداً
وامتلا غيظاً ثم دخل خيمته وأفرغ عليه لامة حربه وتقلد
بسيفه واعتقل برمحه وركب جواده.

قال الراوي: فلما رآه العباس بن مرداس أقبل إليه بسرعة
إلى خيمته وأفرغ عليه لامة حربه وتقلد بسيفه واعتقل برمحه
وركب جواده، وأقبل كل واحد منهما يريد صاحبه فارتجز
العباس بهذه الأبيات:

سار دونك ضرباً بالحسام المهند وطعنا برمح ليس يخطى المضارب
بيد فارس شجاع ذي عزيمة ومضرم نار الحرب عند المضارب
لقد طال ما لاقى العدا بمهند وصال على الإبطال صولة غالب
فاجابه حصين على شعره يقول:

دع الكلام ونازل فارساً بطلاً يرمي العدا ولا يخشى من العطب
قد طال ما صال في يوم القتال به وكم في طلى الاعداء من وصب

قال الراوي: فما استتم كلامه حتى صرخ العباس بن
مرداس السلمي، وكذلك حصين، وأقبل كل منهما على
صاحبه، وتهاجما وتضاربا حتى تطاولت إليهما الأعناق وامتد
نحوهما الأحداق، ولم يجسر أحد من العرب أن يقربهما. وكثرت

بينهما الضربات والزفرات، ووصلت إلى مسامع النبي صلى الله عليه وسلم فننادى: أين علي بن أبي طالب. فقال: لبيك يا رسول الله. فقال: ما هذا الضجيج الذي أسمعته؟ فقال: يا رسول الله هذا حرب وقع بين بني فزارة وبني سليم.

قال الراوي: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل خطواته الكريمة مسرعاً راجلاً غير راكب إلى أن وصل إليهما. فلما نظرا إليه أمسكا عن خيولهما إكراماً له صلى الله عليه وسلم واحتراماً. فلما دنا منهما سلم عليهما فردا عليه السلام، فقال: يا هذان أتريدان أن تفعلنا في الإسلام ما كتبنا تفعلان في الجاهلية؟ لا كان ذلك أبداً. أقسمت عليكما أن تلقيا سيوفكما، وتتصافحا وتتعانقا؛ فإن المصافحة تنزع الغل من قلوبكما، والمعانقة تزيد الحب والمودة بينكما. ففعلنا ذلك. ففرح النبي صلى الله عليه وسلم ودعا لهما بكل خير وسلامة. ثم نهض العرباض بن سارية السلمي وقال: يا رسول الله إنك تبعدنا وتدنينا. فقال العباس بن عبد المطلب: ياعرباض لولا أن محمداً منا لافتخرت بنو سليم على بني هاشم إلى يوم القيامة؛ فعند ذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم منادياً ينادي في القبائل والعربان: بنو سليم يكونون في الغزوة المباركة في مقدمة

العساكر لا يتقدم عليهم أحد. فأجابه جميع القبائل والعربان بالسمع والطاعة.

قال الراوي: ثم أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أن ينادى في العربان والقبائل بالرحيل، فارتحلوا. وسار بهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل في الجحفة، وكان يوم شديد الحر فأصاب الناس فيه عطش شديد فبلغ علم ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر بلال أن ينادي في سائر القبائل والعربان: ألا مَنْ كان صائماً فليفطر ولا جناح عليه. فلما سمع الناس بذلك هالهم وأتوا إليه مسرعين وأمره طائعين، وقالوا له: يا بلال كيف أمرنا بفطر هذا الشهر العظيم؟ فقال لهم بلال رضي عنه: هلموا معي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فساروا معه إلى حضرة النبي قاصدين.

قال الراوي: ثم سلموا عليه فرد عليهم السلام وحب بهم وقال: يا معاشر المسلمين والمهاجرين والأنصار وسائر القبائل والعربان، اعلّموا أن الله تعالى بعثني للملة الحنيئة المرضية، وأن الله تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج. ثم قرأ قوله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ

يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر الآية.

قال الراوي: ففرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً. ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم رفع القدح إلى فمه الشريف وقال: ألا فانظروا فلاني مفطر إن شاء الله تعالى. ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن خيار أمتي الذي إن سافروا فطروا وللصلاة قصروا.

قال الراوي: فاستبشر المسلمون بذلك وافطروا، وزال عنهم العطش والعناء وصاروا في أمان وهناء. فتنطق عند ذلك لسان الحال يقول:

نادى عن الناس بالمختار إعسار	واقبل الخير والافضال مدرار
وأفطر الناس من أجل الكريم له	سبحانه غافر الذنب ستار
وصار عيشهم صاف وعيشهم	فضلاً وجوداً كذا عفو وإيسار
سبحانه واحد فرد ومقتدر	منزه عن شريك وهو قهار
هذا لأجل الذي في الحر ظلاله	غمامة ثم طير ثم أشجار
والضرب كلمه والجذع له حن	والبدر شق له ما فيه أشجار
والصخر لان له والرمل لا اثر	والماء فاض بسكب وهو مدرار
من ذا الذي في الوري يا صاح كلمه	ضرب الفلاة وأشجار واطيار

وخصه ربنا من فضله كرماً
 فالرعب شهراً ويلحقه مداداً
 وهو الشفيع لمن حفت له النار
 والأرض صارت لها من تربها طهر
 ومسجد وله صحب وانصار
 له الغنائم حلت دائماً أبداً
 وهو الرسول له الحجاج قد ساروا
 صلى عليه إله العرش ما طلعت
 شمس وقد زها روض وأشجار
 وأقام صلى الله عليه وسلم في الجحفة بالجيش والعساكر
 ثلاثة أيام، فجعل الناس يموج بعضهم في بعض، ويقولون:
 ترى أين يسير بنا النبي صلى الله عليه وسلم، فلو علمنا ذلك
 لأطمأنت قلوبنا وأنفسنا، فإن لباس الحديد والصلح أثقلنا
 وأضعف قوانا، وكذلك الخيل فإنها لم تزل مسرعة ملجمة،
 فلو علمنا أن العدو الذي هو قاصده بنا قريب، صبرنا على
 حمل الحديد، وإن كان بعيداً نزعنا ما كان علينا من الصلح
 واللباس واسترحنا. فوثب بين العساكر رجل يسمى كعب بن
 مالك الأنصاري وقال لهم: يا قوم أنا أتعرف لكم الآن أين
 يريدنا النبي صلى الله عليه وسلم. ثم أقبل متوجهاً إلى النبي
 صلى الله عليه وسلم وقبل يديه فرد عليه السلام. فبعد
 الاستئذان قال:

قضيئنا من تهامة كل ربٍ وخير ثم أغمدنا السيوفاً

نخبرها ولو نطق لقال قواطعهن دوسا أو ثقيفا
 فلست لحاضن إن لم تروها بساحة داركم منا ألوفا
 إذا نزلوا بساحتكم سمعتم لها في اعظم الاعداء صريفا
 بأيدينا قواضب مرهفات يُزرن المصطلين بها الختوفا
 نخبرهم بأننا قد جمعنا عتاق الخيل والنجب الطروفا
 نطيع نبينا ونطيع رباً رحيماً بالورى برأ رؤوفاً
 نجاهد لا نبالي من لقينا أهلكنا التلاد ثم الطريفا
 بكل مهند لين صقيل نسوقهم بها سوقاً عنيفاً

قال الراوي: فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم ذكر
 الحسان بكى، ثم إنه صلى الله عليه وسلم تذكر اللات
 والعزى. فعند ذلك استأذنه سعد بن مالك الأنصاري في
 الانصراف فأذن له، فأقبل راجعاً إلى قومه، فأسرعوا إليه
 قاصدين وقالوا له: ما رأينا النبي صلى الله عليه وسلم كلمك.
 فقال لهم: والله لقد علمت أين قاصد وإلى أي الجهات يريد.
 فطيبوا أنفسكم وقلوبكم والله ما يريد بنا إلا مكة المشرفة.
 فقالوا له: من أين علمت ذلك: فقال: يا قوم إني لما قلت
 ونسبي اللات والعزى جميعاً تبسم ضاحكاً، فعلمت أنه صلى
 الله عليه وسلم يفرح إذا كسرت اللات والعزى والهيل الأعلى

والأصنام كلها ونأخذ ما عليها من الحلى والحلل والزينة
والذهب والفضة. ولما قلت و«تقتسم الحسان بكل وجه»
فعلمت أنه يحزن على نساء قريش فإن فيهم أقاربه وعشيرته،
فطيبوا نفساً وقروا عينا، فما يريد بنا إلا مكة المشرفة. فنطق
عند ذلك لسان الحال يقول:

فهمنا من المختار ما قد أسره	بتوفيق رب العرش واحد واحد
وقد كانت العربان من كل جهة	لقى ضربه من شدة السير واحد
بهم تعب من كل ما يحملونهم	كذلك دروع من حديد وزائد
ومال عليهم ما بهم فاشتكوا عنا	فبارز الأشعار أشعر واحد
يقول له أنا سنملك مكة	أني خيمة المختار في زي ناشد
بكعب يسمى بابن مالك أصله	ويعملوا لنا وقائع شاهد
يقول له إنا سنملك غنيمة	فجاء بدمع عند ذلك جائد
فاظهر أسراراً لنا وجمعنا	علينا بان العز وخير المقاصد
لقد أنعم الرحمن بالمصطفى لنا	وأرسله فينا بشيراً وشاهد
فلولاه ما كانت المروة والصفاء	ولا البيت والاركان من كل قاصد
ولا عرفات مع منى ثم موقف	ولا مشعر للنحر فيها بقاصد
ولولاه ما كان الخطيم وزمزم	ولا حجر في ركن بيت لاراد
بي كريم مناجد ومفضل	فالله كم أغنى وأهدى لـ فد

قال الراوي: ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم أمر منادياً
 ينادي في سائر القبائل والعربان بالرحيل فأجابوه بالسمع
 والطاعة وارتحلوا. وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
 آخر النهار قريباً من مكة المشرفة فنزل وأمر القبائل بالنزول
 فنزلوا، وضربوا الخيام والقباب وقد طووا الوادي طولاً وعرضاً
 وكل ناحية ومكان. ثم أذن بلال بصلاة المغرب وإقام الصلاة
 فصلى بهم النبي صلى الله عليه وسلم. ثم أقبل كل سيد على
 خيمته وقبيلته فأكلوا وشربوا وعلفوا خيولهم واستراحوا إلى أن
 أذن العشاء الأخير، فصلى بهم النبي صلى الله عليه وسلم
 صلاة العشاء وانصرفوا إلى خيامهم ولهم ضجيج بالتسبيح
 والتهليل. فلما استقر بهم القرار وجلسوا واستراحوا، أمر النبي
 صلى الله عليه وسلم منادياً ينادي في سائر القبائل والعربان: لا
 يبقى أحد إلا ويوقد عند خيمته ناراً أو نارين أو ثلاثة أو أربعة
 أو أكثر إن استطاع فأجابوه بالسمع والطاعة امتثالاً لأمره ﷺ
 وكان جبريل عليه السلام قد نزل عليه وأمره بذلك بأمر الله عز
 وجل. وكان اجتمع مع النبي ﷺ في هذه الغزوة اثنتان
 وسبعون قبيلة كل قبيلة تزيد على عشرة آلاف فارس ليوث عوابس.
 قال الراوي: ثم إن العباس بن عبد المطلب لما جن الليل

نظر إلى تلك القبائل والعربان وإلى كثرة النيران والجيوش وهي من الجبل إلى الجبل فقال في نفسه: والله إن دخل ابن أخي محمد ﷺ بهذه العساكر مكة لا يدع فيها كبيراً ولا صغيراً إلا أهلكه، ولا فارساً إلا قتله، ولا شجاعاً إلا دمره وقطع خبره، ولا مالا إلا أخذه، ولا امرأة إلا سباهها، والله لا يبقى بعدها بقية على قريش إلا بددهم وهم بنو أعياننا وعشيرتنا وأقاربنا.

قال الراوي: ثم وثب إلى بغلة النبي صلى الله عليه وسلم الدلال التي أهداها له المقوقس بن راعيل ملك مصر والاسكندرية، فأسرجها واستوى على ظهرها، وسار بها حتى نزل على العساكر، ونزل عنها وأخذ لجامها في يده، وجلس على قارعة الطريق ينتظر أحداً خارجاً من مكة أو قاصداً إليها.

ذكر رجوع أهل مكة ثاني مرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومداهمتهم له وطلبهم لتحديد المعاهدة والمعاقدة قبل أن يصل إليه خبر الخزاعين ليكفوا شر قتاله وقد خاب أملهم ومسامعهم وضلوا ضلالاً مبيناً.

قال الراوي: لما قتل بنو بكر بن وائل الخزاعين وغنموا ما كان معهم أهل مكة، وكان قد مضى من المعاقدة والمعاهدة سنة

وثمانية أشهر، لحق أهل مكة وساداتها خوف شديد من النبي صلى الله عليه وسلم، وملأ الله سبحانه وتعالى قلوبهم خوفاً ورعباً شديداً حتى امتنعوا عن الطعام والشراب، فجعلوا يترددون على دار الندوة ثلاثة أيام ليلاً ونهاراً. فبينما هم كذلك إذ اتفق رأيهم ومشورتهم على أن يرسلوا أبا سفيان صخر بن حرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثاني مرة ليجدد لهم المعاهدة قبل أن يصل إليه خبر قتل الخزاعين فيكفوا قتاله. فأجاب بعضهم بعضاً أن هذا الرأي حميد.

قال الراوي: ثم أنهم اخبروا أبا سفيان بذلك وقالوا له ما يكون رسول هذه القضية إلا أنت. فامتنع عن المسير إلى النبي عليه الصلاة والسلام ثانياً. وقال لهم: يا قوم إني ما خلصت من محمد في أول مرة إلا بالملاطفة في الكلام والمداينة.

قال الراوي: فجعل سادات قريش وغيرهم يبدلون الأموال والأنعام ويرغبونه حتى أجابهم إلى ذلك، وقال لهم: يا قوم أريد منكم أن يكون معي رجلان من عشيرتي؛ إن غدرني محمد وقتلني يأتيان إليكم ويخبرانكم، وإن سلمت سلمنا جميعاً. فأجابوه على ذلك بالسمع والطاعة وقالوا: خذ معك من الرجال ما تختار.

قال الراوي: ثم إن أبو سفيان اختار رجلين أحدهما اسمه حكيم بن حزام، والآخر عمرو بن عبد الدار، وذهب كل واحد إلى منزله، وافرغ عليه آلة حربته، وودّع أهله وأقرباءه إلى أبي سفيان وأصحابه. ثم ودّعوا السادات وخرجوا بعد غروب الشمس حتى لا يعلم بهم أحد من بني هاشم أقارب النبي صلى الله عليه وسلم.

قال الراوي: ولم يزل أبو سفيان وصاحبه عابرين حتى أشرافوا على النيران. فالتفت أبو سفيان إلى صاحبيه وقال لهما: ما تريان؟ قالوا: نيراناً كثيرة وعساكر وجيوشاً قد أخذت من الجبل إلى الجبل. فقال: أنا أرى كذلك، يا ليت شعري ما تكون هذه النيران والعساكر؟ ما اظن أن ههنا عرباناً نازلين. فقال حكيم بن حزام: لعل بني خزاعة استنجدت ببعض العربان فاستنجدوا بهم علينا. فقال لهما أبو سفيان: تباً لخزاعة وتعباً. فلو كانت هذه الجيوش للمقوقس بن راعيل ملك اسكندرية والقبط لما اعتنيت بها، ولو كانت من انطاكية والشام لم اسأل فيها، ولو كانت لكسرى انو شروان ملك العراق والعجم لا أبالي بها، ولكن أخاف أن تكون هذه العساكر والجيوش لمن ظهر فينا وبأسه شديد ويزعم أنه نبي وينزل عليه

الوحي من السماء الذي يرى ولا يرى وهو بالمنظر الأعلى.
والغالب أن هذه الجيوش مع محمد بن عبدالله بن عبد
المطلب. فعند ذلك نطق لسان الحال مترجماً بالمقال ينشد
ويقول:

إن كانت النيران للعرب كلها وأهل ملوك الأرض ما كنت افزع
ولكن أخشى أن تكون لأحد فيا ذلنا ويا ويحنا كيف نصنع
أترك أصناماً كباراً عبدتهم مع الهبل الأعلى ولا ثم مرجع
وأترك جميع الأرض خيرة لنا ولا انثني عما أقول وأسمع
إلى أن يشاء رب السماء بعناية يكون لنا فيها صلاح فيتبع
قال الراوي: فما استتم كلامه حتى سمع هاتفاً يهتف ولا
يرى شخصه مجيباً له بهذه الأبيات:

يا ويح من أضحى بعيداً مخالفاً لخير الورى المبعوث أنفع نافع
محمد الهادي الذي شرف الورى بنور له بين البرايا ساطع
فكن يا ابن حرب تابعاً ممانعاً وكن سامعاً للمصطفى غير راجع
وآمن برب الخلق والأرض والسماء وبالمصطفى المبعوث أشرف طائع

قال الراوي: فلما سمع أبو سفيان كلام الهاتف كتبه عن
أصحابه. هذا ما كان منه.

وأما ما كان من العباس فإنه ما زال يكرر الأبيات المتقدم ذكرها، فسمعها أبو سفيان بأمر الله تعالى. فقصد قائلها حتى قرب منه فأبقى سمعه إليه فعرفه لأصحابه: إني سمعت صوت العباس بن عبد المطلب. فسمعه العباس فنادى: ألا يا أبا سفيان، ألا يا أبا حنظلة. فقصده فلما دنا منه ترجل عن جواده هو وأصحابه، ثم أقبل إليه والقى بنفسه عليه، وتعانقا وتصافحا، ثم إنه جلس أمام العباس يحدثه. فقال أبو سفيان ما وراك يا عباس من أخبار بن أخيك محمد؟ فقال له العباس: ورائي الداهية الدهما والمصيبة العظمى، وجيش قد ملأ الأرض في طولها والعرض. يا ويل أهل مكة إن أصحابهم هذا الجيش، لا يدع فيها كبيراً ولا صغيراً ولا حراً ولا عبداً ولا امرأة ولا جارية إلا أخذها. فقال سفيان: يا أبا الفضل هذه الجيوش والعساكر كلها لابن أخيك محمد؟ فقال: نعم، ولو طلب أكثر من هذه الجيوش التي تنظرها لأتوا إليه من كل جانب ومكان. فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل، وكم معه من القبائل؟ فقال له العباس: معه اثنتان وسبعون قبيلة؛ كل قبيلة تزيد عن العشرة آلاف فارس ليوث عوابس. فقال له: يا أبا الفضل بحق أخيك محمد إلا ما وصفت لي كل قبيلة

ونيرانها حتى أعرفها. فقال له العباس: حبا وكرامة. ثم إنه أخذ برأس أبي سفيان وقال له: انظر هذه النيران لبني سليم وهو عشرة آلاف فارس منتخبون.

قال الراوي: وما زال العباس يصف له قبيلة بعد قبيلة حتى وصف كل القبائل والعربان. فقال له أبو سفيان: إلى أين يريد ابن أخيك محمد بهذه الجيوش وما رأيت مثلها أبداً؟ فقال له: يا حمار قريش إن كنت نائماً فاستيقظ، أو إن كنت سكراناً فأفّقْ يريد بها مقتكم وكسر اللات والعزى والهبل الأعلى التي تعبدونها من دون الله عزّ وجلّ. وهل أقعد بي إلى هنا إلا الشفقة على الأهل والأقارب عسى أن يأتوا إليه مسرعين ويستجبروا به، لعل أن يعفو عنهم ويصفح؟ قال أبو سفيان: كيف يغزونا ابن أخيك وبيننا وبينه عهود ومواثيق؟ كيف ينقضها ويأتي إلى قتالنا؟ فقال العباس: اسكت يا حمار قريش، النبوة لا تنقض عهداً ولا ميثاقاً. ولكنكم أنتم الذي نقضتم العهد والميثاق بقتلكم الخزاعيين في دار الندوة، وطرحتموهم في البراري والقفار للوحوش والأطيار، وقد سلم الله منهم رجلين وأتيا إلى ابن أخي محمد وأخبراه بخبرهم، فأنزل الله قرآناً أمره بالجهاد فيكم حتى تقرّوا الله سبحانه وتعالى

بالوحدانية، ولمحمد ﷺ بالرسالة وبكسر اللات والعزى والأصنام كلها. فاستفق من سكرة الضلالة والجهالة وعبادة الأصنام تسعد في الدنيا والآخرة.

فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل لقد أربعتني وخوفتني وما قتلنا الخزاعيين إلا ليلاً وما علم بهذا أحد من أقاربك. فقال له: اسكت يا حمار قريش، الله الذي لا إله إلا الله هو يعلم ما في الليل والنهار وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، فلا تطل الكلام.

فقال له أبو سفيان: ما عندك من الرأي فإنك من ذوي الأقارب والعشيرة. أرجع إلى مكة وأخذ أهلي وعشيرتي وأولادي وأموالي وأذهب إلى النجاشي ملك الحبشة أستجير به من ابن أخيك محمد؟ فقال له العباس: يا حمار قريش إن النجاشي أسلم وآمن بالله تعالى وصدق بنبوة ابن أخي محمد عليه الصلاة والسلام. وقد أهدى إليه هدايا كثيرة وأنت إن توجهت إليه وأخبرته أرسلك ومن معك مغلولين بالحديد.

فقال أبو سفيان: فقال يا أبا الفضل أمضي إلى كسرى أنوشروان ملك العجم واستجير به من ابن أخيك محمد؟

فقال له العباس: يا بهيم أن كسرى بينه وبين ابن أخي عهود وموائق، وقد أهداه هدايا كثيرة وشرط على نفسه أموالاً يجعلها إليه كل سنة. وأنت إن توجهت وأخبرته بخبرك أرسلك أنت ومن معك مصفدين في الحديد.

فقال له أبو سفيان: أمضي إلى المقوقس بن راعيل ملك مصر واسكندرية والقبط. فقال له: يا حمار قريش إن المقوقس قد أهدى إلى ابن أخي محمد ﷺ هدايا كثيرة منها هذه البغلة وجارية قبطية وبينه وبين ابن أخي عهود وموائق. وإن توجهت إليه وأخبرته بخبرك أرسلك ومن معك مغلولين في الحديد.

فلما سمع أبو سفيان كلام العباس إلى آخره قال له: يا أبا الفضل ضاقت عليّ الأرض بما رحبت وكيف يكون الرأي؟ فقال العباس: أشير عليك برأي يكون فيه صلاحك وسلامتك إن قبلته مني فقال: وكيف لا أقبله والموت صار بين عيني؟ فقال: أرسل جوادك وسلاحك مع أصحابك إلى زوجتك، وأمرهم الرجوع إلى مكة، واركب خلفي على هذه البغلة وأمضي بك إلى ابن أخي محمد أشفع لك عنده وأجد لك ولأهلك منه الأمان أو يهديك الله تعالى إلى الإسلام فتكتب من الفائزين.

قال الراوي: فقال أبو سفيان: فهذا الرأي حميد. ثم قبل يديه وأقبل على أصحابه، وخلع ما كان عليه من لامة حربه وأعطاها لأصحابه وقال لهم: اذهبوا بسلامة الله وأمانه. فرجعوا إلى مكة.

وأما أبو سفيان فركبه العباس خلفه، وجعل يطوف به على القبائل والعربان يصفهم له فقال أبو سفيان: أراك طائفاً بي على القبائل والعربان، ما أراك إلا تخوفني وترعيني. فقال العباس: يا حمار قریش أنا خايف عليك من أسد هذه القبائل والعربان ليث بني غالب على بن أبي طالب يراك معي فيقتلك ولا ييالي. فقال له: بحق محمد صلى الله عليه وسلم مَرَّ بي على خيمته حتى أراه. فقال له العباس: حبا وكرامة. ثم عطف بالبعلة على نيران بني هاشم.

قال الراوي: قال العباس: فانحرفت بالبعلة حتى لا يراه الإمام رضي الله عنه. وإذا بان لهم خرج وأصرخ بأعلى صوته: مَنْ هذا المغير علينا في هذه الليلة المذكورة؟ قال العباس: فأجبتة: أنا عمك العباس. قال: وَمَنْ هذا الرجل الذي معك الرقيق الساقين كأني أعرفه. وضرب بيده إلى أبي سفيان

وجذبه، فصار بين يديه كالصيد بين قوائم الأسد، ونظر إليه فعرفه فقال له: لا حماك الله ولا رعاك، وَمَنْ أخرجك من مكة وقد أمكنني الله منك ومن غيرك. ثم اقبل سريعاً إلى خيمته ليأتي بسيفه ذي الفقار. فالتفت أبو سفيان إلى العباس وقال: يا أبا الفضل الرواح. فلقد سمعت روايح الموت من ابن أخيك علي بن أبي طالب.

قال العباس: فأركبته البغلة وركبت أمامه وضربت البغلة بالسطور، فخرجت بنا كالريح العاصف. فخرج الإمام علي رضي الله تعالى عنه فلم يجد لنا أثراً بل سمع هفيف البغلة وهي تجري بنا فاستقبلها بوجهه، وناداهما: يا مباركة يا لدل، إن خطوت بأبي سفيان خطوة شكوتك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال العباس: فوالله ولم يتم الإمام علي كلامه حتى وقفت ولم تتحرك بنا. فهزتها بالسقوط فلم تخط خطوة وثبتت كأنها شجرة مغروسة في الأرض. فلما نظرت إلى كرامات ابن أخي علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، نزلت عن البغلة وتركت أبا سفيان وأعطيته لجامها وقلت له: لا تتقدم عن مكانها خطوة تقتل. فقال لي: لا أفعل. ورجعت إلى الإمام فوجدته كالأسد في قومه. فقبلت صدره ويديه وقلت: يا ابن

أخي بحقي عليك وبحق ابن عمك لا تفضحني في أسيري .
فقال : حباً وكرامة يا عم . ولكن أين تذهب به ؟ فقلت : إلى
ابن أخي محمد . فقال : امض به في خير وسلامة وأنا معكم .

وأما أبو أبو سفيان فوجدته يرعد من هية الإمام علي
كالسعفة في ريح عاصف . فأشرت إليه فمضى وصحبني ،
ومشى الإمام علي رضي الله تعالى عنه أماناً . فلما قربنا من
خيمة النبي صلى الله عليه وسلم وجدناه قائماً يصلي . فجلسنا
حتى فرغ من صلاته ، فدخل عليه الإمام علي رضي الله عنه
وقبل يديه ، وكذلك عمه العباس ، فرد عليهما السلام ورحب
بهما ، وقال : من هذا الذي معكما ؟ لعله أبو سفيان . قال الإمام
علي رضي الله تعالى عنه : هو أبو سفيان صخر بن حرب زوج
هند التي بذلت الأموال الكثيرة في قتل عمك حمزة وشقت بطنه
ونهبته من كبده ومثلت به يا رسول الله ، هذا الذي جمع
الجيوش والعساكر لقتالك ومحاربتك يوم الخندق ويوم بدر .

ولم يزل الإمام يعدّ له أفعال أبي سفيان القبيحة وأعماله
الرديئة حتى قال عمه العباس : يا أبا الحسن ما أراك إلا تد
النبي صلى الله عليه وسلم أعمال أبي سفيان . أتريد أن تتلّه

أبا حنظلة ادخل في الخيمة وأنا اقعد على باب الخيمة لأحرسك من الإمام فإني أخاف عليك منه بعد أن أذيتة في الحديث .

قال الراوي: ثم جعل أبو حنظلة يعاتب نفسه ويقول مغروراً: يا أبا حنظلة أين كان احتراسك وحذرك وخوفك من محمد حتى أوثقت عمه العباس في هذا الموضع الخطر؟ هيهات إن سلمت منه وإنما أخرت إلى غد ليعرض عليك دينه، فإن أبيت يضرب عنقك ابن عمه الإمام علي بن أبي طالب ولا يبالي، وإن خلصت من يده لأرميته بجيوش لا طاقة له بها ولا قدرة. فقال العباس رضي الله تعالى عنه: لا تعمل بخزك الله وينصركنا عليك وهو حسبنا ونعم الوكيل. وقال أيضاً: هذا الذي أضمرت عليه في نفسك من الشر والفتنة. فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل أما علمت أن ابن أخيك يعلم الغيب إلا الساعة؟ فقال له العباس: يا حمار قریش إن الله تعالى أعطى نبيه صلى الله عليه وسلم علم الأولين والآخرين .

قال الراوي: ولم يزل أبو سفيان يعاتب نفسه والعباس يسمعه ولم يعارضه، إلى أن أذن بلال وخرجت القبائل والعربان للصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال له أبو سفيان:

يا أبا الفضل، ما هذا الغلام ينهق كنهيق الحمار؟ فقال له: اسكت يا حمار قريش هذا بلال مؤذن رسول الله ﷺ. فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل وكيف الصلاة؟ قال له: قم معي للصلاة حتى تنظر إلى الصلاة وإلى أفعالها.

قال الراوي: قال العباس: قلت في نفسي: لعله يلين قلبه عند قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم أوقفته عن يميني وإذا بالإمام علي رضي الله عنه أحرم عن يمينه. فقلت في نفسي: إن ركع الإمام ولم يركع هذا الحمار قتله الإمام ولا يبالي. فأخذته عن يساري فجعل ينظر يمينا وشمالاً. فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم في أول ركعة بعد الفاتحة سورة يس إلى آخرها، فخشعت قلوب الناس لحلاوة قراءته صلى الله عليه وسلم وخشوعه لله عز وجل، ووجلّت قلوبهم وذرفت عيونهم. ثم ركع فركعوا جميعاً. ثم رفع رأسه من السجود واستوى قائماً فرفعوا رؤوسهم وقاموا. فقرأ في الركعة الثانية بعد الفاتحة سورة الرحمن إلى آخرها بقراءة ما أحسنها وأحلاها، وصوته بالقرآن يسمعه البعيد كما يسمعه القريب. كل هذا وأبو سفيان واقف كالخشب المغروسة في الأرض وهو

يقول: يا لعرب العربان يا لها من طاعة عظيمة إن ركع ركعوا معه، وإن سجد سجدوا معه

قال الراوي: فلما رآه الإمام علي رضي الله تعالى عنه على هذه الحالة أخذته الغيرة الهاشمية على الإسلام والصلاة فضرب بيده الكريمة على عنق أبي سفيان وجذبه حتى صار عنده، ثم انكأ على رأسه وألصقها بالأرض حتى كاد أن يقضي عليه. ولم يزل متكئاً عليه حتى فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته ودغائه.

قال العباس رضي الله تعالى عنه: فهممت قائماً وأتيت إلى أبي سفيان وخلصته من يد الإمام علي كرم الله وجهه، وتقدمت إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فلما نظر أبو سفيان إلى كثرة نور النبي صلى الله عليه وسلم خسر ساجداً. فغضب النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك غضباً شديداً وقال: ارفع رأسك يا عدو الله لا ينبغي السجود إلا لله رب العالمين. فوثب عند ذلك الإمام علي كرم الله وجهه وقال: يارسول الله دعني أضرب عنق هذا العدو الميّن، فقد ظهر الحق وزهق الباطل.

قال الراوي: قال العباس: فتبسم النبي صلى الله عليه

وسلم عند ذلك وقال: يا أبا الحسن لا تعجل على أبي سفيان بحقي عليك، لعل الله أن يهديه للإسلام. فلما نظر أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم والإمام علي كرم الله وجهه شاهر سيفه على رأسه نادى: يا محمد كأنك غضبت من فعلي ولولا أني أمرت بذلك في بعض أسفاري على المقوقس بن راعيل ملك مصر والاسكندرية والقبط فدخلت عليه وسلمت عليه فرد علي السلام وأضافني وأكرمني وأحسن إليّ، ثم تحدثت معه في أمرك فقال: يا أخا قریش إذا دخلت عليه فاسجد بين يديه؛ فإن غضب لذلك فاعلم أنه نبي حقاً، وإن لم يغضب فاعلم أنه يريد المملكة له ولقومه، لذلك سجدت لك يا محمد.

قال العباس: ثم رفع صلى الله عليه وسلم رأسه عند ذلك وقال: يا أبا سفيان إلى كم تعبد اللات والعزى والهبل الاعلى وهي حجارة لا تضر ولا تنفع ومصيرها ومن يعبدها إلى النار وبئس القرار؟ أما آن لك يا أبا سفيان أن تقول مخلصاً أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً رسول الله؟ فقال أبو سفيان: يا محمد إلى أين تريد بهذه القبائل والعربان؟ فقال له النبي ﷺ: إلى مكتكم أكسر أصنامكم وأهتكم ومن

أطاع منكم الله ورسوله نجا، ومن خالف وتولى قُتل ومأواه النار. فقال له أبو سفيان: يا محمد كيف تغزونا وتنقض العهد الذي معنا ومعكم؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: حاشا لله إن النبوة لا تنقض عهداً ولا ميثاقاً، وإنما أنتم نقضتم العهود والمواثيق بقتلكم الخزاعين في دار الندوة ليلاً وألقيتموهم في الأودية والبراري والقفار وللوحوش والأطيار. وقد أنزل الله عليّ في ذلك قرآناً وأمرني فيه بالمسير إليكم والجهاد فيكم حتى تشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً رسول الله.

قال أبو سفيان: يا محمد لو توجهت بجيشك هذا إلى ثقيف وهوازن كان أبعد عنا وأكثر لك ولأصحابك غنيمة وأموالاً. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: حتى أدخل مكتكم وأكسر أصنامكم وهلكم وأطهر بيت الله الحرام من الأصنام التي تعبدونها من دون الله تعالى. إن شاء الله تعالى غزونا ثقيفاً وهوازن وغيرها. يا أبا سفيان قل معي: لا إله إلا الله محمد رسول الله. فقال أبو سفيان: يا محمد لو ملت جيشك هذا إلى نحو الشام والروم لكان أكثر لك ولأصحابك غنيمة وأسياباً وأموالاً. فقال النبي ﷺ: يا أبا سفيان إلى كم تزوغ عن جوابي

وتفوت كلامي؟ قل معي لا إله إلا الله محمد رسول الله . فقال أبو سفيان: دع منك الشام والروم وغيرهما . فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إني ناصحك نصيحة عظيمة وهي أن تقول معي اشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . فقال أبو سفيان: هذه كلمة ثقيلة على لساني لا أقدر أن أقولها . أما ذكرك فلا أقدر أن أقوله وإن في قلبي منك حرارة عظيمة ، فلا اذكرك أبداً .

قال الراوي: فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم من أبي سفيان اشتد غضبه لله تعالى حتى ظهر الغضب في وجهه ، عند ذلك قال الإمام علي رضي الله تعالى عنه: دعني أضرب عنقه ، فقد بان البرهان ونطق الكتاب بالعنوان .

قال الراوي: فعند ذلك تقدم إليه عمه العباس ، ووكزه بيده الكريمة في خاصرته حتى كاد أن يقضي عليه وقال: يا حمار قريش رأسك منتظر كلام رسول الله ويضرب به عنقك . فقال له أبو سفيان عند ذلك: يا أبا الفضل ماذا تأمرني به؟ وماذا أقول؟ فقال العباس رضي الله تعالى عنه: قل أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمدا رسول الله . فقال أبو سفيان: وحياتك يا أبا الفضل هذه كلمة ثقيلة على لساني

ولم اظن لساني ينطق بها. قال العباس: فوالله إن لم تقلها فهذا السيف يعلو رأسك. فقال أبو سفيان: إذا قلت هذه الكلمة فمن يقوم بخدمة اللات والعزى ومن يصلح شأنها. ثم أنشد يقول:

يقولون اسلم وأنت بعنوة وليس لقلبي عند ذاك قيادي
فقلت لهم والقلب مني ذاهل قد حرت في أمري وغاب رشادي
أدخل في الإسلام بالسيف عنوة فإن كان هذا الأمر مني باجهادي
وأترك العزى واللات جملة وأرمي بها خلفي بطر وابعادي
فلولا مخافتي من السيف مضرما لما عن عزمي بقولي واسعاد
ساتبعكم خوفاً ورعباً وعنوة وفي القلب من هذا شأوي وابعاد

قال الراوي: ثم إن العباس رضي الله عنه قال: يا أبا سفيان غداة ندخل مكنكم إن شاء الله تعالى ونكسر أصنامكم وهبلكم الأعلى ونقتل من أبي وتولى. فقال له أبو سفيان عند ذلك: ماذا أقول يا أبا الفضل؟ فقال: قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله ولم يطاوعه قلبه ولسانه أن يقول محمد رسول الله. فقال له العباس: يا حمار قریش أكمل الشهادتين. فقال: كيف أكمل الشهادتين؟ قال: قل أشهد أن محمداً رسول الله.

قال الراوي: عند ذلك قالها أبو سفيان. فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان فرح وكبر، وكبرت الصحابة والمسلمون وقال: يا أبا سفيان سير إلى قومك وعشيرتك سالماً وإياك والغدر والنفاق. فقبل يد النبي صلى الله عليه وسلم وودعه ومضى قاصداً إلى مكة وهو لا يصدق بسلامته.

قال الراوي: فلما بعد عن العساكر نادى النبي صلى الله عليه وسلم عمه العباس. فأجابه: لبيك يا رسول الله. فلما قرب منه قال: أدرك أبا سفيان فإنه غدر ونافق وأظهر كفره وامتح اللات والعزى والهبل الأعلى فوثب الإمام علي رضي الله عنه وقال: ائذن لي يا رسول الله أن آتيك به أسيراً أو برأسه، فأني مشتاق إلى قتله ونشره. فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وقال: يا أبا الحسن لك ذلك، وكان الله لك عوناً ومعيناً وحافظاً وأميناً. ولكن عمك العباس أولى بذلك مثل ما كان أولاً يكون آخرًا، والأعمال بخواتيمها.

فنهض بعد ذلك العباس رضي الله عنه، ودخل خيمته وتقلد بسيفه فقط وشد وسطه، وأتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقبل يده فقال له ﷺ: يا عمي إذا أدركته لا تقتله،

وإنه سيحمل عليك إذا راك منفرداً ولا يقدر عليك . فإذا رأيت منه ذلك فاذكر له عليا ، فإنه يذل بين يديك وتنكسر شدته وقوته . فإذا رأيت ذلك فترجل عن جوادك وتقدم إليه واخلع عمامته عن رأسه وأوثقه بنصفها كتافاً وثيقاً لثلا ينقلب منك ، واجعل نصفها في رقبته وضعه في أضيق الطريق بجانب حتى أعرض عليه القبائل والعربان ، ويعرض عليه جبريل صفوف الملائكة الكرام . بذلك أمرني ربي على لسان جبريل عليه السلام وإنه يسلم إن شاء الله تعالى إسلاماً مستوفياً هو وزوجته . امض إليه سريعاً ، كان الله لك عوناً ومعيناً وحافظاً وناصراً وأميناً . ففرح العباس رضي الله عنه بذلك وقبل يد النبي صلى الله عليه وسلم وجعل أذياه في دور منطقته ، ودعا الله وأقبل مسرعاً على قدميه كالجواد المسرع ، فأدرك أبا سفيان وهو منحدر من العقبة ويقول :

يقول العباس قولاً مهديداً أجب صاغراً قول النبي الموفق وأقسم بالعزى واللات أنني لأشجع من ليث كريم محقق ومن أعجب الأشياء دلي مروعا إلى السيد حان على الناس ضيق أشعل نار الحرب من كل فارس من كل ليث الأمور موفق وأسعى بجهدي كل يوم وليلة لاتلاء فضل من الجيوش وسبق

وإني أنا المقدم في حومة الوغا اكر كراراً في جميع ملتقي

قال الراوي: فتقدم إليه وناداه: غدرت ونافقت يا عدو الله
وغيرت دينك فالتفت إليه أبو سفيان فرآه وحده فطمع فيه
وصرخ فيه ونهره وقال له: بل أنتم أهل غدر يا بني هاشم.
فقال له العباس: يا أبا حنظلة إن عتبوك لا تغدو أغدر من
أسلم ثم نافق ومدح اللات والعزى والهبل بعد توحيد الله رب
العالمين. فقال له: يا عباس إنك لحقتني سريعاً. فقال
العباس: إن لي إليك حاجة. فقال له أبو سفيان: ما منعك أن
تطلبها مني وأنا في أسرك وقبضتك؟ فقال له أبو العباس رضي
الله عنه: أردت الخلوة بك يا أبا حنظلة. فقال أبو سفيان:
هيهات إن عدت أصغي لأحد منكم يا بني هاشم في كلام وفي
سلام.

ثم أنه أراد أن يحتال عليه لما رآه وحده. فالتفت العباس إلى
ورائه ونادى بأعلى صوته: أدركني يا أبا الحسن، ثلاثاً، يا
كاشف الكربات يا مفرج المهمات. فقال أبو سفيان عند ذلك:
ابن أخيك علي بن أبي طالب؟ فقال العباس: هو على ثوى
لاحق بك يا ويلك إن رآك على هذه الحالة، لا تنج منه أبداً.

أَحْمَلْ عَلَيَّ يَا أَبَا حَنْظَلَةَ لَوْلَا أَنِي جَعَلْتِكَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ جَعَلْتِكَ
فِي صَدْرِي مَا أَبْقَاكَ أَبَدًا.

قال الراوي: فلما سمع أبو سفيان بذكر الإمام علي رضي
الله عنه وتوبيخ العباس له، ذل وخضع وانكسرت شوكته
وعلاه الذل، ثم التفت إلى العباس وقال له: يا أبا الفضل وما
تريد مني، أأرجع معك لابن أخيك محمد ويحبرني من علي بن
أبي طالب؟ قال العباس: فقلت: لا روع عليك ولا ملام. ثم
تقدمت منه وحللت عمامته عن رأسه وكانت من الحرير الأزرق
محبوكة من أطرافها بالذهب والفضة، فأوثقته بنصفها كتافاً
شديداً، وجعلت النصف الثاني في رقبته، وأتيت به إلى أضيق
الطريق من جانب الجبل، وأوقفته وقلت: يا أبا سفيان، بهذا
أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم. فرفع رأسه إليّ وقال:
يا أبا الفضل أنا أسيرك افعل ما تختار. وما اظن أني خالص
من يدكم، وما كان خوفي إلا من هذا الذي وقعت فيه. ثم
تنهد حسرة وندامة وأطرق برأسه إلى الأرض ولم يتكلم. فهذا
ما كان من أمر أبي سفيان.

وأما ما كان أمر النبي ﷺ فإنه أمر منادياً في سائر القبائل

والعربان: يا معشر السادات والفرسان والأبطال والشجعان
زينوا قبائلكم بالتيجان والأكاليل والبسوا أفخر ثيابكم، فإنكم
قادمون على حرم مكة المشرفة.

قال الراوي: فلما سمعت القبائل والعربان النداء أجابوه،
وأقبلوا على الخيام، وأخرجوا الدروع ولبسوها وتوجهوا
بالتيجان والأكاليل والبيض المحلية، وتعمموا بالعمائم
الإسلامية، وتقلدوا بالسيف الهندية، وركبو الخيول العربية،
واعتلوا بالرماح الخطية، ووقفوا صفوفاً بجمعهم مشرعين
وإلى حضرة النبي ﷺ قاصدين. فلما قربوا منه ترجلوا عن
خيولهم إكراماً له ﷺ، وسلموا عليه فرد عليهم السلام،
ورحب بهم. ثم أشار إلى سادات القبائل أن تأتي إليه فجاءوا
فقال النبي ﷺ: كل سيد منكم إذا أقبل على أبي سفيان ينشد
شيئاً من الشعر يمدح فيه دين الإسلام ومن يدين به، ويلزم
الكفر وأهله ويعلو الراية في وجهه لا يضربه ولا يخرجه، ثم
يقول: انظر يا عدو الله ما أعد الله لك ولقومك، ثم يمر منطلقاً
وتتبعه كتيبته. بذلك أمرني الله على لسان جبريل. فأجابوه
بالطاعة.

قال الراوي: فبينما العباس رضي الله عنه واقف وأبو سفيان موثق كتافاً الى جانبه وهو تارة يتنفس الصعداء وتارة يتحسر وتارة يتقدم، وإذا هو بالكتائب قد أقبلت وكانت أول قبيلة طلعت عليهم بنو سليم يقدمهم سيدهم العباس بن مرداس السلمي، رضي الله تعالى عنه، وهو مقنع بالحديد هو وأصحابه لم يبين منهم إلا آماق الأحداق، ويده راية رسول الله ﷺ. فيقدم قريباً من أبي سفيان وارتجل وأنشد:

تسامى العز في فرح سليم كريم احد مشتبك العروق
فنصر المصطفى فرض علينا إذا جحد المكذب الخنوق
وسوف تقر بالإسلام قهرا أبا سفيان اقرار الصديق
وتنظر من سليم الف ليث كان سيوفهم نار الحريق
نحمى عن رسول الله حقا رسول الواحد الملك الشفوق
عليه صلاة خالق كل شيء عداد القطر مع رمل الطريق
شفا قلبي واذهب كل غيظ بفتح نبينا البيت العتيق

قال الراوي: ثم هز الراية في وجهه وحمل عليه حتى كاد أن يقضي عليه، ثم قال له: انظر يا عدو الله ما أعد الله لك ولقومك ثم مرّ منطلقاً فنبعته كتيته. قال العباس رضي الله تعالى عنه:

فرجع أبو سفيان رأسه إلي وقال: يا أبا الفضل مَنْ هذا؟ فقلت له: العباس بن مرداس السلمي وهذه بنو سليم ألف فارس ليوث عوابس، قد جعلهم النبي عليه السلام في مقدمة هذه العساكر والجيوش في هذه الغزوة المباركة. فتنفس حسرة وندامة وقال: ما لي ولبنى سليم، وما لهم وما لي. وأطرق برأسه إلى الأرض. قال: وأنى من بعدهم بنو جهينة يتقدمهم سيدهم عقبة بن عامر الجهمي رضي الله عنه وهو غائص في الحديد هو وقومه لا يظهر منهم إلا الحدق، ويده راية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتقدم حتى ضافت أنفاس أبي سفيان، وأشرف على الهلاك، وظن أنه ليس بناجٍ أبداً مما هو فيه. فقال العباس منشداً.

اصبر قليلاً فصبري عندك الفرج ولا تكن عجلاً تذهب بك اللجج

فأطرق أبو سفيان رأسه إلى الأرض لم يتكلم. ثم تقدمت من بعدهم بنو كندة يتقدمهم كبيرهم المقداد بن الأسود رضي الله عنه هو وقومه غائصون في الحديد لا يظهر منه إلا آماق الحدق، ويده راية رسول الله ﷺ. فتقدم حتى قرب من أبي سفيان وكبر ثلاثاً وهز الراية في وجهه وحمل عليه حتى كاد أن

يقضي عليه، وقال: انظر يا عدو الله ما أعد الله لك ولقومك. ثم مر منطلقاً وتبعته كتيبته فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل من هذا؟ قال: هذا عطية بن يغوث وهؤلاء بنو نزار مضر. فتند حسرة وندامة وقال: يا أبا الفضل لقد أصبح ابن أخيك ملكاً يقود العرب أزمته حيث شاء. فقال العباس رضي الله تعالى عنه: اسكت يا حمار قريش هذه نبوة اختصه الله بها إن سمعك ابن أخي علي بن أبي طالب ليضرين عنقك إن لم تؤمن بالله ورسوله. فقال: يا أبا الفضل لقد قل صبري وضائق أنفاسي ولا أظن أن أنجو أبداً قال له اصبر قليلاً تسترح كثيراً. فاطرق رأسه على الأرض ولم يتكلم.

ثم أقبلت من بعدهم الأوس والخزرج والأنصار، يتقدمهم كبيرهم الشيخ الكبير أبو الهيثم رضي الله عنه هو وقومه، غائصون في الحديد لا يبين منهم إلا الحلق. فتقدم حتى قرب من أبي سفيان وكبر ثلاثاً وهز الراية في وجهه وحمل عليه حتى كاد أن يقضي عليه وقال: انظر يا عدو الله ما أعد الله لك فقال: يا أبا الفضل من هذا؟ قال: هذا سيد الفتان المطيع للرحمن المرضي لسيد الأكوان أبو الهيثم بن النبهان، وهذا الأوس والخزرج. فتند حسرة وندامة وقال: ما لي ولالأوس

والخزرج وما لها. ثم اطرق رأسه إلى الأرض ولم يتكلم.

ثم أقبلت من بعدهم طائفة من الخزرج يتقدمهم كبيرهم جابر بن الخزرج هو وأصحابه غائصون في الحديد لا يظهر منهم إلا الأماق وبيده راية النبي ﷺ فتقدم حتى قرب من أبي سفيان.

قال الراوي: ثم كبر ثلاثاً وهز الراية في وجهه وحمل عليه حتى كاد أن يقضي عليه وقال: انظر يا عدو الله ما أعد الله لك ولقومك. ثم مر منطلقاً وتبعته كتيبته. فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل من هذا؟ فقال العباس رضي الله عنه: هذه طائفة من الخزرج وهذا كبيرهم جابر بن عبد الله الخزرجي. فتنفس وتنهد حسرة وندامة وقال: ما لي وللخزرج وما لهم وما لي. ثم قال: يا للعرب يا لها من نبوة عظيمة. يا أبا الفضل متى تطلقني؟ فقد ضاقت بي الأرض بما رحبت. فقال العباس: اصبر قليلاً ولا تعجل فعقب الصبر نيل الأجر. فأطرق رأسه إلى الأرض ولم يتكلم.

ثم انطلقت تمرّ الكتائب ساعة زمانية. فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل متى يأتي ابن أخيك أحمد فقد ضجرت من الوقوف

وكادت روحي إن تفارقي. فقال العباس: عن قريب يأتي.
 وإذا بغارة قد طلعت وكتيبة قد أقبلت فيها الاسنة المشهورة
 والسيوف اللامعة، ولهم دوي وهدير بالتسييح والتهليل
 والتكبير والتمجيد والتقديس لله رب العالمين والصلاة والسلام
 على البشير النذير السراج المنير سيدنا محمد عليه الصلاة
 والسلام كدوي النحل. في أوائلهم فارس جسيم أصبح
 الوجه. فنظرت إليه وتأملته فإذا هو أبو ذر الغفاري هو وقومه
 غائصون في الحديد لا يظهر منهم إلا أماق الحديد، وبيده راية
 رسول الله ﷺ. فتقدم حتى قرب من أبي سفيان وكبر ثلاثاً وهز
 الراية في وجهه. وحمل عليه حتى كاد أن يقضي عليه، وقال:
 انظر يا عدو الله ما أعد الله لك ولقومك. ثم مر منطلقاً وتبعته
 كتيبته فقال أبو سفيان: مَنْ هذا يا أبا الفضل؟ فقال العباس
 رضي الله تعالى عنه: هذا أبو ذر الغفاري، وهذا بنو غفار.
 فتنفس وتهدأ أسفاً ولهفاً وقال: ما لي ولبنی غفار وما لهم
 وما لي. ولكن يا أبا الفضل ما رأيت اشجع من هذا الفارس
 ولا أصبح منه وجهاً فقال العباس رضي الله تعالى عنه: هذا
 الذي قال رسول الله ﷺ في حقه: ما اطلت الخضراء ولا

اولت الغبراء احداً اصدق لهجة من أبي ذر الغفاري رضي الله عنه .

قال الراوي: ثم أقبلت من بعدهم بنو عبس وهم ألف فارس ليوث عوابس، وعليهم الدروع السابورية والبيض المجلية والسيوف الهندية والرماح الخطية، وفي أوائلهم فارس عظيم القامة. فنظر أبو سفيان إليه فإذا هو عمار بن ياسر العبسي، هو وأصحابه غائصون في الحديد، بيده راية النبي صلى الله عليه وسلم. فتقدم حتى قرب من أبي سفيان وكبر ثلاثاً وهز الراية في وجهه، وحمل عليه حتى كاد أن يقضي عليه، وقال: انظر يا عدو الله ما أعده الله لك ولقومك. وتبعته كتيبته، فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل من هذا؟ فقال العباس رضي الله عنه هذا صاحب النبي صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر العبسي، وهذه بنو عبس. فقال: ما لي ولبنو عبس وما لها ومالي. ثم قال: يا أبا الفضل ألم أقل لك إن ابن أخيك محمداً أصبح ملكاً يقود العرب بأزمته حيث شاء؟ فقال له العباس: لا تقل ملكاً وإنما هي نبوة عظيمة اختصه الله بها. فقال أبو سفيان: حلّ وثاقي لاستريح ساعة واحدة قبل الموت، فإني هالك لا محالة. يا لها من بلوة ما لي منها خلاص.

فقال له العباس: اصبر قليلاً. فأتى برأسه إلى الأرض ولم يتكلم.

قال العباس: ثم أقبلت من بعدهم بنو ثقيف وهم ألف فارس ليوث عوايس يقودهم رجل بهي المنظر يسمى عبدالله ابن مسعود الثقفي هو وأصحابه غائصون في الحديد ويده راية وارنجل:

أجنا رسول الله حين دعا على كل جبار وذلول
عليها ليوث في الوغى قد تبادر وشبابنا تغشى صبيلاً وكهول
بهم تكشف الأهوال في كل موقف وفي كل صعب موقف وهلول
عليه صلاة الله ثم سلامه صلاة وتسليماً أعداد يسول

قال الراوي: ثم كبر ثلاثاً وهز رايته في وجه أبي سفيان وحمل عليه حتى كاد أن يقضي عليه، وقال: انظر يا عدو الله ما أعد الله لك ولقومك. ثم مر منطلقاً وتبعته كتيبته. فقال أبو سفيان: ما لي ولبنى ثقيف، وما لها وما لي. ثم قال: يا أبا الفضل لقد دخلت على كسرى أنوشروان في عسكره، وبطرقته وجيشه في عسكره ودخلت على المقوقس بن راعيل ملك مصر واسكندرية بموكبه وعسكره. وجعل يعد الملوك ملكاً ملكاً

وقال: ما رأيت مثل عساكر ابن أخيك محمد فقال له: اسكت يا حمار قريش هي نبوة خصه الله بها. فبينما هما في الكلام وإذا بغبرة عظيمة طالعة وسيوف لامعة وقد انكشف الغبار عن ألف فارس، عليهم الدروع الداودية والعمائم الحجازية، متقلدين بالسيوف الهندية، راكبين الخيول العربية نسل السلالة الهاشمية وغرة العصابة المحمدية، وفي أوائهم شاب مليح كثير الحياء والوقار ذو هيئة وافتخار على رأسه عمامة مطرزة فوق بيضة عادية لها شعاع كالشمس، ويده راية الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال العباس: فلما رأي تبسم في وجهي وأشار إلي بالسلام، وإذا هو ولدي الفضل. فتقدم إلى أبي سفيان وصرخ عليه وهز الراية في وجهه وحمل عليه حتى كاد أن يقضي عليه، وقال: انظر يا عدو الله ما أعد الله لك من هذا البطل الشديد والفارس الصنديد. فقال أبو سفيان: من المؤكد أن هذا بطريق من بطارقة الروم وأحد من الرجال الفارسية استخدمه ابن أخيك محمد صلى الله عليه وسلم. فقلت له: هذه فرسان بني عبد مناف، وهذا الفارس المتقدم عليهم هو ولدي الفضل

رضي الله عنه . فقال لي : صدقت يا عباس ، وهل تلد الحية إلا حية مثلها؟ وهو أشبه بجده عبد المطلب . ثم قال : أطلق سبيلي يا أبا الفضل بعدما زهقت روحي ، فقلت : يا أبا جنظلة بقي القليل . وتعجبت من قوة قلبه على ملاقات الأبطال وتوبيخهم له .

فبينما هما في الحديث وإذا بغبرة قد ظهرت ، وعجاجة قد ارتفعت ، وظهر من تحتها ألف فارس عليهم الدروع الداودية متقلدين بالسيوف الهندية ، راكبين على الخيول العربية فروع الشجرة الهاشمية وأبطال العصاة النبوية ، وفي أوائهم رجل جسيم قد علا بطنه قربوس مسرجه يخطب الأرض برجليه ، والشجاعة بين عينيه ، وبيديه رايتان كريمتان . فتأمله أبو سفيان فإذا هو فارس الدين وبطل الموحدين وقاهر الكفرة والمشركين زوج البتول وابن عم الرسول ليث بني غالب علي بن أبي طالب . فتقدم لأبي سفيان وهز الراية في وجهه وحمل عليه حتى كاد أن يقضي عليه ، وقال : انظر يا عدو الله ما أعد الله لك ولقومك . وكبر ثلاثاً ومر منطلقاً وتبعته كتيبته . فقال أبو سفيان : يا أبا الفضل من هذا الذي لم يكن في عساكرهم مثله؟ لقد تخيل لي الموت لائحاً بين عينيه يريد أن يطفئ

روحي بيده. فقال له العباس: هو الكرار والبطل الهدار، هذا صاحب المفاخر، هذا شجاع بني غالب، هذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

قال أبو سفيان: لقد خلع قلبي من خوفي.

قال العباس: ثم انقطعت الكتائب وإذا بجيش قابل علينا وأخذ من الجبل للجبل، وفيه دروع سابورية وبيض عادية، ولعان سيوف وصهيل خيل ورغاء إبل فتأملته فوجدته كاملاً فاضلاً، رائحته أزكى من المسك، يخرج من فيه نفحات الكافور والعنبر، البشير النذير، السراج المنير، السيد الطاهر، والعلم الظاهر، والاصل الفاخر، أبو القاسم جد الحسين وإمام الثقلين، خاتم الأنبياء والمرسلين، والشفيع وقائد الغر المحجلين لجنات النعيم محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن عبد مناف صلى الله عليه وسلم.

قال العباس: فلما أقبل علينا وأشرف على أبي سفيان وهو ذليل قال: اللهم اهده للإسلام. فاستجاب الله دعاءه وأوحى إليه جبريل عليه السلام إن أهبط في زمرة من الملائكة المقربين واجعلهم جزئين: جزءاً عن يمين محمد وجزءاً عن يساره، وجزءاً خلفه وجزءاً أمامه. فامتثل جبريل لأمر ربه الجليل

وهبط عليه ﷺ، فجعل عن يمينه ملكاً عظيم الخلقة شديد الهامة، شاهراً سيفه على عاتقه عشرة آلاف من الملائكة على خيولهم حمراء، بأيديهم رايات حمراء، وجعل عن شماله ملكاً عظيم الخلقة طويل القامة شاهراً سيفه على عاتقه عشرة آلاف من الملائكة على خيولهم خضراء، بأيديهم رايات خضراء، وعليهم ثياب خضراء. وتقدم أمامه جبريل عليه السلام بعشرة آلاف من الملائكة على خيل شقر وهو حامل لواء النصر على أربعة أملاك أمام رسول الله ﷺ، وقد جاز المشرق والمغرب، وأوحى الله تعالى إلى رضوان خازن الجنان أن ينشر سحابة من الكافور الأبيض، ويحفظها بنسيم الرحمة، وينثرها على حبيبه محمد ﷺ، وأشرفت الحور العين من مقاصيرها، وأوحى الله إلى ميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام طوفوا بحبيبي محمد ﷺ واحفظوه فوعزتي وجلالي لأكشفن الغطاء عن قلب أبي سفيان وناصره حتى يرى مقام حبيبي محمد ﷺ ومنزلته عندي، ونزل ﴿اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ فعند ذلك حفت الملائكة بالنبي ﷺ واحدقوا به بجيوش الإسلام.

ثم إن النبي ﷺ أخرج لواء الملك المقوقس ملك مصر، نشره على رأسه. وكذلك لواء الملك قيصر ملك الروم. وكذلك علم الملك كسرى أنوشروان صاحب العجم ونشرها على رأسه. وأخرج محفظة من الديباج عليها ثلاثة فقام وفتحها وأخرج منها العلم الأعظم الذي كان أهده له النجاشي ملك الحبشة.

قال حسن البكاري: وكان النبي أرسل إليه جعفر ابن عمه أبي طالب في الهجرة الأولى فأسلم على يديه وأكرم من كان معه من المسلمين. ثم قال لجعفر: ما يحب ابن عمك من الهدايا. فقال له: أعلم أيها الملك إن ابن عمي محمداً قد بعثه الله وأمره بالجهاد في أعدائه الكافرين حتى يؤمنوا بالله ورسوله، ويحب من الدنيا ثلاثة النساء والطيب وقرة عينه في الصلاة. فأهدى إليه النجاشي الطيب والسلاح.

قال الراوي: فلما نشر النبي العلم في ذلك اليوم ظهرت بوارقه. فعندها دعا النبي يرمح مرحب اليهود الذي قتله الإمام علي يوم خيبر، فأفرغ عليها وأخذ العلم من رأسه إلى أسفله، ثم سلمه النبي إلى حسان بن ثابت الأنصاري. فأخذه

حسان فلمنعت بوارقه وأشرقت انواره من كل جانب، وصار يقرأ ما عليه من القرآن.

قال الراوي: فلما أخذ حسان العلم تقدم العباس وقبل يد النبي وصدره، وقال: يا رسول الله اجعل أبا سفيان في أمانك وزمامك. فتبسم النبي من كلام العباس وقال: هو لك يا عم. في هذا اليوم أطلق سبيله ودعه يسير إلى مكة ويخبر أهلها بقدومنا، وله منا الأمان: فَمَنْ دخل بيتك يا أبو سفيان كان آمنا، وَمَنْ دخل البيت الحرام كان آمنا.

قال الراوي: فلما دخل أبو سفيان مكة وتخلص من العقال لقيه سعد بن عبادة الأنصاري. فعند ذلك جاء زيد بن الخطاب إلى النبي ومعه رجال من الأنصار، فسلموا على النبي وقبلوا يديه وقالوا له: يا رسول الله هل أنت أمرت سعد بن عبادة بهجو قريش وأعادوا للنبي كلامه. فعند ذلك وثب زيد يقول:

يعاني الهدى إليك الرجاء لقريش فانت نعم الرجاء
تعليم قد ضاقت الأرض جمعا واتاهم من الإله البلاء
إن سعدا يرى لنا كل سوء وهو في الشرحية رقطاء

إن قد أتى لبیت حرام حرم الرب فيه سفك الدماء
فلما فرغ زيد فاضت عيناه بالدموع رحمة على قريش لأنه
رقيق القلب. قال: أين قيس بن سعد؟ فأجابه: لبيك يا نبي
الله فقال: الحق أباك وخذ رايثنا منه وإن كان أمير قومه.
فأجابه بالسمع والطاعة. وذهب إلى أبيه مسرعاً وناداه: يا ابتاه
أعطني الراية. فقال: يا ولدي لا أدفع اليك راية عقدها لي
رسول الله. فعند ذلك رجع قيس إلى النبي وأخبره بذلك،
فمن شفقتة على قريش أنزل عمامته الكريمة عن رأسه وسلمها
لقيس، فأخذها وقبلها، ومضى بها لوالده الذي سأله: يا
ولدي ما كان سبب عزلي عن راية رسول الله؟ فقال: السبب
في عزلك أنك هجوت المهاجرين والأنصار من قريش، وأعادوا
كلامك للنبي، فبكى سعد بكاء شديداً.

قال الراوي: فلما استلم قيس الراية قال له والده: يا ابني
إنما دخرتك اليوم فلا تعمل شيئاً إلا بأمر رسول الله. فأجابه
بالسمع والطاعة.

قال الراوي: وكان أهل مكة لما سمعوا مناداة أبي سفيان
منهم مَنْ تفرقوا فرقاً، ومنهم مَنْ دخل بيت الله الحرام، ومنهم

مَنْ دَخَلَ بَيْتَ أَبِي سَفْيَانَ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَفَرَّقَ فِي الْأَوْدِيَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَلَسَ عَلَى الطَّرِيقِ مُتَعَرِّضاً لِلْحَرْبِ وَالْقِتَالِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَكَوا بِيُوتَهُمْ.

قال الراوي: فأما الذين تعرضوا للحرب فقالوا: واللوات والعزى والهبل لا ندع محمداً يدخل مكة إلا قهراً بالسيف. فلما دخل ابن الوليد ومَنْ معه في مكة فوجد القوم متهيين للقتال فناداهم خالد: يا قوم تنحوا عن الطريق فندخل ونكف عنكم قتالنا توقيراً للبيت الحرام وزمزم والمقام، تولوا عن الطريق وإلا وضعت فيكم السيف فلا أرفعه إلا بإذن رسول الله. فقالوا: يا خالد إنا نراك رجلاً مسحوراً يقال له هذا المقال، دونك والحرب والقتال فما ندعك تدخل ولو متنا عن آخرنا. فغضب عند ذلك خالد غضباً شديداً، ركب رأسه على قربوس سرجه، وجرد سيفه، وحمل فيهم حملة منكرة هو وأصحابه وجرى بينهم الطعن والضرب، وقوي الحرب والقتال، وقدحت حوافر الخيل الشرار، وأظلم النهار، وكثر الحملات والصرخات.

قال الراوي: هذا ما كان من أمر خالد بن الوليد. وأما ما

كان من أمر رسول الله فقد دخل مكة المشرفة راكباً ناقته
العضباء، وعلى رأسه بردة حمراء مطرقاً رأسه تواضعاً لله على ما
أكرمه بفتح مكة المشرفة، حتى أن عمامته تكاد تمضض الرجل.

قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق: كان جدي أبو قحافة له
ابنة صغيرة. فلما سمع بدخول النبي صلى الله عليه وسلم مكة
المشرفة بجيوشه وعساكره قال لها: يا ابنتي اذهبي ماذا
تنظرين؟ قالت: يا أبت أنظر إلى سواد عظيم قد انتشر على
مكتتنا من كل جانب. فرآه ولده أبو بكر الصديق رضي الله تعالى
عنه وكان مجاوراً للنبي، فمضى إلى أبيه وسلم عليه فرد السلام
ورحب به وقال له: يا أبت هل لك أن تمضي معي إلى النبي
صلى الله عليه وسلم؟ فأجابه إلى ذلك وصار معه حتى قرب
من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما رآه رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال: يا أبا بكر لِمَ لَمْ تترك الشيخ حتى نأثيه
أكراماً لك ولإبيك، قال: فذاك أبي وأمي يارسول الله، هو
أحق إليك بالمشي حافياً راحلاً على قدميه.

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم أجلسه بين يديه ومربده
لباركة على صدره وقال له: أسلم يا أبا قحافة. فقال: امدد

يدك يا رسول الله، أنا أقول أشهد أن لا إله إلا الله واشهد أنك محمد رسول الله ففرح النبي ﷺ بإسلامه.

ثم أمر الزبير يدخل مكة من الجانب الأيسر وكان دخول خالد بن الوليد من الجانب الأيمن.
ثم نعود إلى القصة.

قال أبو جهل وسهيل بن عمرو: وكان حماد بن قيس يصلح في سلاحه فقالت له زوجته: خاب ما صنعت إنك لماخوذ. فعند ذلك غضب من قولها وخرج صحبة صفوان بن أمية وحملوا على خالد، فتلقاهم بغلب قوي، وقال في أوائلهم: الله أكبر ثلاثا فتح الله ونصر وخذل من كفر. وخالد يصول عليهم بطلعات وحملات وصرخات فانهمز حماد ودخل منزله، وقال لزوجته: اغلقي عليّ الباب ولا تعلمي بي أحداً فقالت: أين ما وعدتني به؟ فأنشد:

إنك لو شهدت يوم الخندقه اذ فر صفوان وفر عكرمه
وابن الوليد كم الثرى قد لجمه واستقبلنا بالسيوف المسلمه
تفلق كل ساعد وجمجمه ضربا فلا يسمع إلا غمغه
لم تنطقي في اللوم أدنى كلمه فلإن أصحاب النبي محرمه

من الذين خالفوا ذي الملحمه وبذلوا الروح لنيل المكرمه
 قال الراوي: وانهزم جيش صفوان بن أمية وقتل من
 سادات قريش سبعة وعشرون سيداً فنادوا بالأمان، فلم يعطوا
 الأمان إلى أن انهزم منهم جيش كبير. فنهضت طائفة منهم إلى
 النبي وهم يقولون: الأمان الأمان يا محمد من خالد، فإنه قتل
 من قريش سبعة وأربعين سيداً. فعظم ذلك على النبي، ثم
 نادى علي الإمام وقال له: توجه إلى خالد. فعند ذلك توجه
 الإمام على خالد وصرخ به صرخة عظيمة. فسمع خالد رضي
 الله عنه ذلك، فترجل عن جواده وتمثل بين يدي الإمام، ورمى
 السيف من يده، وقال: يا أبا الحسن، وحقّ النور الذي يتلالا
 في وجه رسول الله، ما من رسول يأتي إلا ويقول الرسول
 يقرئك السلام، ويقول لك ضع السيف في أهل مكة ولا
 تعطهم أماناً، وها أنا ورسلكم بالمقال بيني وبينكم.

قال الراوي: فعند ذلك غضب النبي على خالد وأعرض
 عنه، وقال: إليّ بمروان ومازن وأبي أيوب الأنصاري وهم
 الذي كان يرسلهم النبي إلى خالد لئلا يطلبوا منه الأمان.
 فقالوا: لبيك يا رسول الله، ها نحن بين يديك. قال لهم: ألم

أرسلكم إلى خالد بن الوليد هذا بالأمان إلى أهل مكة أن يرفع عنهم السيف؟ قالوا: نعم بأمر رسول الله، ولكن نحدثك بعجيب حيث أتينا إليه برسالتك ونقرته عنك السلام. فإذا أردنا أن نقول ارفع السيف واعط قريشا الأمان، فتنقلب قلوبنا فلا ندري ما تنطق به الألسن فتخرج الكلمة، فما نعرف ما نقول إلا ضَعِ السيف في مكة. ولم يكن ذلك بمرادنا ولا بأمرنا وها نحن بين يديك يا رسول الله.

قال الراوي: فركب النبي وجعل عمامته على رأسه، وتختم بخاتم إبراهيم عليه السلام، وتحزم بمنطقة إسماعيل، ثم أمر القبائل والعربان بإظهار زيتهم. فأجابوه لذلك ولبسوا أفخر ملابسهم وأحدقوا برسول الله والغمامة ظللت عليه، وظهرت أنواره، وعظم الله قدره، وأضاءت مكة لطلعته، وفتحت أبواب السماء لرؤيته، وكبرت أملاك السماء في العلو فرحاً بفتح بيت الله وطهارته.

فعند ذلك فرح المسلمون فرحاً شديداً بعمارة بيت الله بالإسلام، وارتفعت أصواتهم بالتهليل والتكبير والثناء على الملك الجليل. فلما وصل النبي الباب الأول قرأ قوله ﴿وقل

رب ادخلي مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي
من لدنك سلطاناً نصيراً ﴿ فلما سمع نصير بن عبادة قراءته
تقدم وقرأ قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إنا فتحنا لك
فتحاً مبيناً﴾ إلى قوله تعالى ﴿وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾.

قال الراوي: فعند ذلك ترجلت العساكر والعربان عن
خيولهم إكراماً لرسول الله واجلالاً وتعظيماً للبيت الحرام،
وكانوا حينئذ اثنين وسبعين ألف فارس غير أتباعهم، وليس
فيهم راكب غير رسول الله وبجانبه الإمام علي وهو يقول:
اللهم ارزقني تواضعاً لوجهك الكريم، وجبريل عن يمينه يقول
له: اقرأ يا محمد قوله تعالى ﴿قد جاء الحق وزهق الباطل إن
الباطل كان زهوقاً﴾.

فجعل النبي يكررها، والإمام علي ينادي بأعلى صوته: يا
أهل مكة هذا الذي طردتموه، انظروا ما صنع الله به في هذا
اليوم. فلما سمع أهل مكة مناواة الإمام ضججوا بالبكاء
والنحيب، ونادوا: الأمان يا رسول الله، فلا تؤاخذنا بما فعلنا.
قال الراوي: فارتاحت العساكر والقبائل إلى رسول الله،
فجعل النساء يروحن بخيارهن. فلما رأى النبي ذلك قال

للإمام علي: يا أبا الحسن لقد صدق حسان :

تظل جيادنا متمطرات يلطمنهن بإخمر النساء
ولم يزل النبي راكباً حتى نزل بالبيت الحرام فوقف على بابه
وقال الله اكبر ثلاثاً لا إله إلا الله وحده، صدق وعده ونصر
عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده. ثم دخل البيت
الحرام وطاف به اسبوعاً. ثم أشار بقضيب كان بيده الكريمة
نحو الأصنام وقرأ قوله تعالى ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن
الباطل كان زهوقاً﴾، فتساقطت الأصنام على وجوهها والهبل
الأعلى كان ظهر الكعبة مسبوكةً عليه بالرصاص. ثم قال النبي
يا أبا الحسن نادِ أهل مكة: مَنْ كان في داره صنم فليكرسه
وَلْيُزِمِهِ في الفضاء، وَمَنْ خالف ذلك حل دمه وماله لرَسُولِ الله
بأمر الله تعالى.

فلما وصل إلى باب الكعبة وجده مقفلاً فطلب المفتاح من
بني شيبه، فقالوا له: قد ضاع منا. فقال النبي: أخبرني
جبريل أنه ما ضاع، وأنه تحت الرخامة الحمراء، وأنه تحت
الدرجة. فتعجبوا من ذلك عجباً شديداً وقالوا: يارسول الله
صدقت وأنت الصادق المصدوق قال لهم: ما حملهم على منعه

والبيت بيت الله؟ فأتوا له بالمفتاح، ففتح باب الكعبة، فقال بنو شيبه: يا رسول الله لا تسلبنا عزنا وحرنا الذي توارثناه عن آبائنا وأجدادنا الكرام. فقال ﷺ: إني أردت إليكم مقره في أيديكم ليوم القيامة، وإن الله تعالى اختاركم لخدمة بيت الله الحرام، وقد أنزل الله في كتابه العزيز إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها. ثم يا بني شيبه لا يغالبكم عليه أحد إلى يوم القيامة..

ثم إنه ﷺ دخل الكعبة ونظر إلى الهبل الذي على ظهر الكعبة، وقال: يا أبا الحسن انظر إلى الصنم الذي كانت قريش يعبدونه من دون الله ويضلون به كثيراً من الناس. فقال الإمام علي: اتأذن لي يا رسول الله أن اصعد على ظهر الكعبة وأرميه على رأسه؟ فقال النبي هو لك يا أبا الحسن، فصعد الإمام على ظهر الكعبة.

فلما رآه أهل مكة لم يبق أحد منهم إلا وخرج لينظر كيف يصنع بالهبل الكبير وهو مسبوك عليه بالرصاص. فقال بعضهم لبعض: ما كفى محمد بن عبد الله دخول مكتنا بالسيف قهراً حتى يفجعنا في الهبل الكبير، ولكن الساعة يغضب الصنم

ويرميه من عنده على أم رأسه، أو يسלט عليه أعوانه فيرمونه قتيلاً بين يديه. فلما تقدم عليّ نحو الهبل ليرميه وإذا قد خرج إليه مردة الجن والشياطين من جوف الصنم وقد أتوا إليه أفواجاً ليخوفوه ويزعجوه. فلما رآهم الإمام على صرخ عليهم واقرأ عليهم قسماً كان غلمه له رسول الله. فما أتم الإمام قراءة القسم حتى كان الهبل الكبير قد خرّ على أم رأسه إلى الأرض، فزلزلت مكة من ثقل تلك الصخرة.

فعند ذلك وقف النبي على باب الكعبة وقال: لا إله إلا الله وحده صدق وعده، ألا وقتيل الخطأ شبيه العمد بالسوط والعصا، ففيه الدية مغلفة ومائة من الإبل اربعون منها في بطونها الأولاد. إلا يا معاشر قريش إن الله قد اذهب عنكم فخر الجاهلية وقرأ قوله تعالى ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم﴾ يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً يا رسول الله نعم الأخ الكريم والنبي الرحيم، ثم قال: اذهبوا أنتم العتقاء.

ثم التفت بوجهه لبني خزاعة وقال لهم: اعلموا أن الله

تعالى حرم هذا البيت الحرام والبلد الحرام من يوم خلق السموات والأرض. لا يحل لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها الدماء ولا يعضد فيها الشجر، وأنها لم تحل لأحد، ولا تحمل بعدي، ولا حلت هذه الساعة إلا غضباً على أهلها، ثم عادت إلى حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس. فالحاضر منكم يبلغ الغالب. فمن قال لكم إن رسول الله قتل فيها فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يؤذن لكم. يا معشر قريش ويا بني خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل. ثم إن في القتل مائة من الإبل.

ثم وقف رسول الله يدعو الله على الصفا وقد أحلق به المهاجرون والأنصار. فقالت الأنصار في أنفسهم: هل ترى إذا فتح بلدة مكة هل يسكن بها أو بالمدينة؟ فلما فرغ النبي من دعائه، قال لهم: ما تقولون يا بني الأوس والخزرج؟ قالوا: ما نقول شيئاً يا رسول الله. قال: بل قلتم هل يسكن بمكة أو عندنا بالمدينة؟ فسكتوا فبشرهم بخير. ودعا لهم بخير.

ولما دخل البيت وصار يطوف، جاء رجل من خلفه اسمه فضالة الملاح وأراد قتل النبي وهو يطوف. فلما دنا منه قال: يا فضالة. قال له: لبيك يا رسول الله. قال: ماذا تسر في

نفسك؟ قال: خير يارسول الله. قال: اذكر الله واستغفره. ثم وضع النبي ﷺ يده على صدره، وقال في سره: اللهم اهدم للإسلام. فسكن قلبه وقال: والله ما وقع النبي يده عليّ حتى تمكن الإيمان في قلبي ونطق بالشهادتين ثم أنشد يقول:

قال هلم إلى الحديث فقلت لا ففعلني من الإسلام بالإسلام
اذ لو رأيت محمداً في صجبه في الفتح يوم الكسرتكسر الأصنام
لرايت دين الله اضحى ديننا ورايت دين الشرك مثل ظلام

قال الراوي: وأسلمت نساء مكة، وأسلمت أم حكيم بنت الحرث وفاخته بنت الوليد زوجة عكرمة بن أبي جهل لعنه الله، وطلبت لزوجها فأمته رسول الله ﷺ وأتت به إلى النبي ﷺ فأسلم على يده. وأسلم صفوان بن أمية، وأسلمت أم هانئ أخت الإمام علي رضي الله تعالى عنه، وأسلم زوجها هبيرة بن وهب، ولم يزل متربصاً على دينه حتى مات.

قال الراوي: وفرح المهاجرون والأنصار وجميع القبائل والعربان بفتح مكة المشرفة فرحاً شديداً وقام النبي ﷺ خمسة عشر يوماً ببقية شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة. وقد أمر النبي ﷺ أن لا أحد يخلع سلاحه ولا لباسه. وكان =هـ

العباس يمشي في شوارع مكة فرحاً مسروراً بفتحها وهو يقول:
 لاح البيان واشرقت أنواره بيننا وهداية الخلاق
 نور الهدى قد لاح دياركم فاستقبلوه بفرحة وتلاقي
 الخائض الهيجاء في يوم الوغى خير الانام وصفوة الخلاق

قال الراوي: وكان النبي مدة إقامته أمر منادياً ينادي في
 شوارع مكة: يا معشر قريش وغيرهم، مَنْ كان بداره صنم
 فليكرسه ويؤمّه في الخلاء ويعبد الله الذي لا إله إلا هو الحي
 القيوم، ويقول لا إله إلا الله. محمد رسول الله وَمَنْ خالف قد
 حل ماله ودينه لرسول الله،

فأتوا إليه أفواجاً وأسلموا على يديه. وكان ذلك قبل اسلام
 أبي سفيان وزوجته هند وكانت قد بذلت على قتل عمه حمزة بن
 عبد المطلب يوم أحد المال الكثير وخشي العبد الذي جاء إليه
 من خلفه وضربه بحربة فقتله. فجاءت إليه هند وشقت قلبه
 واستلمت قلبه ونهشت منه فحوله الله حجراً في بطنها وكانت
 في ذلك اليوم ترى في منامها كل ليلة عبداً يقتلها شر قتلة
 وهي تجد ألم القتل في نفسها، حتى حرمت المنام: فلما كان يوم
 فتح مكة جاءت قبل أبي سفيان لتسلم على يد رسول الله

فأعرض عنها وجهه الكريم، فأتت إليه من الجوانب الأربعة وهو يعرض عنها. فعند ذلك وقفت باكية حزينة ونطقت بهذه الأبيات:

أتيت إليك يا خير البرية بإسلام وتحقيق ونية
وحسن عقيدة في الله ربي فاسمع واتركن فعل الدنية
فلأن الله يغفر كل ذنب بتوحيد وإخلاص ونية
وجئت الآن يا مختار اسمي على الأقدام أتردد صعية
وجد لي بالرضا واغفر لي ذنبي فإني بالقبائح مفترية
وقد اذنتها إذ كنت عميا على الإسلام بظلم الجاهلية
فيما من قد أتى بالحق مصدقا يبشرنا وينذرنا سوية
ويظهر دينه في كل حي وقد اخمدت دين الجاهلية
سألتك بالذي خلق البرايا ومن رفع السموات العلية
واجرى الشمس فيها ثم بدرا ومن بسط الأراضي للبرية
واجرى البحر والأنهار جمعا وارساها بأوتاد قوية
ويث بها دوابا سارحات ووحشا ثم طيرا بالسوية
واجرى رزقهم فيها دواما إلى أن ينتهي إلى وقت البرية

قال الراوي: فبينما النبي معرض عن هند إذ هبط عليه

الأمين جبريل عليه السلام وقال: يا محمد ربك يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك اقرأ قوله تعالى ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبایعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً﴾ إلى ﴿غفور رحيم﴾، واعلم يا محمد أن الله تعالى قد قبل توبة هند وغفر لها، فبایعها على الإسلام وبایع غيرها ممن یأتیک من النساء. ثم عرج إلى السماء، فعند ذلك أقبل النبي الكريم بوجهه على هند وقال لها: يا هند إن الله أمرني أن ابایعك على الإسلام بشروط. فقالت: وما هي الشروط يا رسول الله؟ فقال: لا تشركي بالله شيئاً. فقالت: نعم يا رسول الله.

قال الراوي: فلما أجابته هند إلى ذلك دعا النبي باناء فيه ماء ووضع يده الكريمة فيه، ثم أمرها أن تغمس يدها فيه، ففعلت، فما رفعت يدها من الاناء حتى كبر الرجال، فكانت المصافحة بيده الكريمة فما أخذ يده حتى يتمكن الإسلام منه. ولما شملت أبا سفيان الهداية جاء للنبي يسعى وهو يقول:

ياخير من زان البرية حسنه واجل مبعوث اتانا بالهدى
ما انجبت حوا لأدم مثله كلا ولا في الخلق مثل محمدا
كلا ولا حملت بنات في الورى أبهى جمالاً من احمدا

كلاً ولا ركب السباق كمثلته عند القتال ولا تراه مقلدا
 فعليك صلى الله ربك دائماً ياخير مبعوث اتانا مرشدا
 فلما فرغ أبو سفيان قال: امدد يدك يا رسول الله، لا كفر
 بعد إيمان، ولا شك بعد يقين. قال: فقد قبلت وسعدت يا أبا
 سفيان فإن الله تعالى قال: ﴿قل للذين كفروا أن يتتبعوا يغفر
 لهم ما قد سلف﴾: ففرح المسلمون باسلام أبي سفيان،
 واستقر أميراً بمكة بأمر رسول الله بعد رجوعه إلى المدينة.
 وكان بعض أهل مكة قد تفرقوا في الأودية والجبال، وأمر
 النبي بقتلهم حيث وجدوا. فنزل فيهم القرآن العظيم وكان
 أماناً وعفواً وغفراناً. فمنهم مَن آمن، ومنهم مَن آمنه النبي
 وخلفه أن لا يكون له ولا عليه: وما أبو الزعيم فأق إلى النبي
 وأسلم على يده فقبله وفرح به وأنشد يقول:

منع النبي بلائيل وهموم والليل معتكر الظلام يهيم
 ياخير من حملت على أوصالها قد جئت معتذراً وأنت كريم
 إني لمعتذر إليك بذلتي إني أسألت وفي الظلام اهيم
 النفس تأمرني بطوع غوية فأطعتها في غيها الميشوم
 قويت أسباب الردى وتمكنت في العضلات كأني محروم

وعليك من علم الإله علامة نور وعز خاتم غتوم
 أعطاك بعد محبة ورفاعة شرفا وبرهان الإله عظيم
 ولقد شهدنا أن دينك صادق حقاً وأنت في العباد رحيم
 ثم أن النبي أمر منادياً في سائر القبائل والعربان ينادي:
 هلموا إلى رسول الله وودعوه واستأذنوه في الذهاب إلى
 أوطانكم. فأذن لهم ودعا لهم بخير وما عافية وسلام ودوام.
 وهذا ما انتهى إلينا من فتح مكة المشرفة. ثم ارتحل لسان
 الحال يقول:

هذا فتوح لبيت الله المحرم وزمزم والصفاء والحجر ملتزم
 خص الإله هذا النبي فاق البرية من عرب ومن عجم
 فأدم ثم نوح والخليل ومن قبلهم قد مضى فازوا بمغنم
 أما النبي الذي ثارت بطيعته أرض الحجاز الدنيا من الظلم
 فجاءنا بجيوش لا عداد لها طوعاً له سعيّاً على القدم
 لما رآه أبو سفيان وافداً نحو المقام وبيت الله والحرم
 ضاقت عليه رحاب الأرض أجمعها وصارت في شدة اليأس والنقم
 تداركته عنايات ومغفرة وصار من جملة الأصحاب والهمم
 كذاك هند أتت والقلب منكسر إلى الذي قد أتى بالعلم والحكم

فاعرض المصطفى عنها بما فعلت من فتح قلب ذلات من الحزم
 نادت يا مصطفى إني موحدة وقد شهدت بأن الله ذو كرم
 وقد بعثت بأفضال ومكرمة وأنت خير الانام للعرب والعجم
 فداركتها هدايات ومغفرة وصفح ذنب بجمع الشمل واللمم
 وأقبل المصطفى والله ناصره طوف بالبيت للأركان مستلم
 وعند رؤيته الأصنام قد كسرت والكبير لهم بسيف ذي همم
 وأصبح البيت والأركان مشرفة بنور خير البرايا المبعوث للأمم
 وقد تنأهت خيام الفتح كاملة بشرى لنا بختام الفتح مختم
 ياربنا يا إله الخلق كلهم اغفر لمن قرا هذا يادافع النقم
 واجبر كذا قلبه المكسور يا عالم السر بل ياباري النسم
 وجد بسعي لبيت الله تبلغه بحق من خص بالآيات والحكم

